ملخص البحث

يتناول هذا البحث نوعًا من الشعر التعليمي طريف، وهو المنظومات العلمية ذات الصبغة الغنائية، وظهورها في شكل فني خالص من خلال الغرض الشعري الذائع(الغزل)، ومن ثمَّ سعت الدراسة للكشف عن العلاقة بين الغزل والعلم، وتسليط الضوء على ملامح هذا الشعر الموضوعية وقضاياه الفنية، في محاولة لرصد الوشائج المشتركة بين الشعر التعليمي والشعر الغنائي.

Summary

The research tackles a type of funny educational poetry, which is scientific systems with chanting form, and their appearance in a pure artistic form through the common poetic purpose (amatory), as a result, the study sought to disclose the relationship between amatory and science, and to spot light on the objective features of such poetry and its artistic issues, trying to observe the shared links between educational poetry and chanting poetry.

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدّمة

مازال الشِّعرُ التَّعليميُّ –وخصوصًا المنظومات العلميَّة– يَلْقَى صُدُودًا وإعراضًا من النُّقاد، وما برح يُنْظَرُ إليه على أنَّه فضلُ حديث، ودرسٌ تكميليٌّ للشِّعر مكانه تاريخ الأدب لا الأدب والنَّقد، فأعرضتْ عنه–على كثرته–المؤلَّفات الأدبيَّة والدِّراسات النَّقديَّة، وعزفتْ عنه كُتب المُختارات الشِّعريَّة، وعللَّ النَّقد الحديث لهذا المسلك بأنَّ التعليميَّات الرَّجزيَّة–على كثرتها– لم يأتِ فيها شعرٌ جيد يستحقُّ الدِّراسة أو الاختيار، وهو رأيٌ ينسحبُ على المنظُومات العلميَّة أكثر من غيرها، وإن بقي شيءٌ كبير من أثر هذا القول ينال سائر الشِّعر التَّعليميّ.

والمنظومات العِلميُّة الغزليُّة–محلُّ الدِّراسة– لون من الشِّعر التَّعليميّ طريفٌ، يحمل غرضًا شعريًّا أصيلًا(الغزل)، يُعبِّر عن أعماق النَّفس الإنسانيَّة، وهو ما قد يذهب بالقضيَّة أبعد من مُحاولة تقريب العلوم أو حفظها أو سهولة نقلها، ورُبَّما يُغيِّر في النَّظرة إلى الشِّعر التَّعليميّ عامَّة أو في نتائج الحُكم على المنظومات العلميَّة خاصَّة.

وقد قامت فكرة هذه الدِّراسة في إطار البحث عن النَّماذج الغنائيَّة الكاملة للشِّعر التَّعليميّ، وتحقيقًا للحُلم المنشُود في أن يجد هذا الشِّعر–أي التَّعليمي– طريقه إلى حقل الدِّراسات الأدبيَّة والنقديَّة، ومحاولة لكسر الحواجز بين الشِّعر التَّعليميّ والنَّقد الأدبي، ورغبة في دراسة غرض مُهملٍ من أغراض الشِّعر العربيّ.

ولعلَّ أبرز الأسئلة في هذا السِّياق ستكون عن قُدرة هذا الشِّعر على التَّعبير عن خلجات النفوس،

ومدى صلته بالشِّعر الغنائيّ، وهل اكتملت فيه ملامح التَّجرِبة؟ وهل استطاع النَّفاذ إلى آفاق شعريَّة خالصة تَعرِض العلم في صُورٍ خياليَّة؟ وهل اتكأ على المعاني الإنسانيَّة والنواحي الوجدانيَّة؟...إلخ.

هذه الأسئلة وغيرها حفزتني لإنجاز هذه الدراسة، والسَّير في هذا الطَّريق، راجيًا من الرَّب التَّوفيق.

هذا وقد قسَّمتُ الدِّراسة إلى مُقدِّمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرسين على النَّحو التَّالي:

المُقدمة: وفيها سبب الكتابة في الموضوع، وخُطَّة البحث بالتَّفصيل.

التَّمهيد: الغزل والعِلم مُقاربة نقديَّة.

المبحث الأول: الشِّعر العِلميُّ الغزليُّ رؤية موضوعيَّة.

المبحث الثاني: الشِّعر العِلميُّ الغزليُّ وقضاياه الفنيَّة.

ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج، وتلاها فهرسا المراجع والموضوعات.

وجدير بالذكر الإشارة إلى أني استخدمتُ المنهج التَّكامُلي على حسب مُجريات الدراسة ومتطلبات البحث، وقد التزمتُ بتوثيق النُّصوص، وضبط الأشعار ضبطًا تامًا، وضبط ما أَشْكَل من الأماكن والأسماء، والترجمة لغير المشاهير من الأعلام.

والحمد لله رب العالمين

عبد الحميد محمد شُعَيب
Dr.shoaib2020@Gmail.com

التَّمهيد
الغزل والعلم مُقاربة نقديَّة

التَّمهيد
الغزل والعلم مُقاربة نقديَّة

ثَمَّة التقاء وتقارُب بين الغزل وسائر الأغراض الشِّعريَّة، وقد بدا هذا التَّقارب منذ نشأة الشِّعر العربيّ في افتتاح بعض الأغراض الشِّعريَّة بالغزل والوقوف على الطَّلل كما في قصيدة المدح[1] أو في الجمع بين الحماسة والغزل؛ والتَّعبير عن مشاهد الحُبِّ في ساحة القتال والوغى كما في قول عنترة(ت٢٢ق.هـ تقريبًا):[2]

---

(1) ارتباط المدح بالغزل من مسلمات النقد، لكن من الطريف وجود ارتباط بين الرِّثاء والغزل على نحو مُثير. ينظر في افتتاح قصيدة الرِّثاء بالغزل: المقدمات الغزليَّة للمراثي الجاهليَّة مدوَّنات في بلاغة الصَّنعة–د. وليد إبراهيم حمودة–مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية–جامعة الأزهر–عدد٣١–المجلد الخامس، وقد رصدت الدراسة(٣٣) ثلاثًا وثلاثين مرثيَّة افتُتحت بالغزل.

(2) شرح ديوان عنترة بن شداد للخطيب التبريزي–تقديم مجيد طراد–ص١٩١–ط١– دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤١٢هـ–١٩٩٢م، وضبط المحقق(وددت) بفتح الدال الأولى، والصواب ما أثبته في المتن، ويُنظر نموذجٌ آخر في روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم– ص٢٦٤– ط دار النبلاء. بيروت. د.ت، وذكر المحبوب في ساحة الحرب ووقت الشِّدة أمارة على شدَّة التَّعلق، وعلامة على صدق المحبة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال آية٤٥.

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ
مِنِّي وَبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنَّهَا
لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ

وتطوَّر هذا الارتباط من الجمع بينهما إلى تبادلهما–أحيانًا–استخدام بعض الكلمات ورُبَّما الصُّور والعبارات؛ كإثراء لغة الغزل بمُفردات المعارك والحُروب[1] ويبدو الأمر بشكل عكسي في إبراز الحرب في صورة الغزل كما في شعر فُحول الشُّعراء كالمُتنبي وغيره[2] ولعلَّ هذا التَّبادل يمثِّل تجسيدًا مُبكرًا لعلاقة التَّلازم في ثنائيَّة (الحُب والموت) في الشِّعر العربيّ.

(١) ينظر: سوسيولوجيا الغزل العربي(الشعر العذري نموذجًا)– الطاهر لبيب– ترجمة: محمد حافظ دياب– ص٦٩–ط١–دار سينا للنشر ١٩٩٤م. والتَّعبير عن معاني الحُبِّ بمفردات الحماسة والحرب كثير جدًا في الشِّعر العربيّ كقول امرئ القيس(ت٨٠ق.هـ تقريبًا):

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي
بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وقول جميل(ت٨٢هـ):

لِكُلِّ لِقَاءٍ نَلْتَقِيهِ بَشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ

وقول أبي فراس الحمداني(٣٥٧هـ):

فَقُلْتُ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الهَوَى
قَتِيلُكِ قَالَتْ أَيُّهُمْ؟ فَهُمُ كُثْرُ

ينظر في ذلك على الترتيب: شرح المعلقات السبع للزوزني–ص٢٠– تح: طلال أحمد–ط١– دار الكتاب العربي٢٠٠٢م–١٤٢٣هـ، ورواية الديوان(إلا لتقدحي)مكان(إلا لتضربي) ينظر: ديوان امرئ القيس – ص١٣–تح: محمد أبو الفضل إبراهيم–ط٥ دار المعارف، وديوان جميل–ص٦٤–جمع وتحقيق وشرح: حسين نصار–ط دار مصر للطباعة.د.ت، وديوان أبي فراس–٢/٢١١–تح: سامي الدهان–ط بيروت١٣٦٣هـ–١٩٩٤م.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات–صلاح الدين الصفدي–٢٢/١٦٢–تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي–ط دار التراث العربي. بيروت، ومن أمثلته في شعر المتنبي قوله عن مدينة الحَدَث عندما قصدها الروم ودفعهم عنها سيف الدولة:

غَضِبَ الدَّهْرُ وَالمُلُوكُ عَلَيهَا
فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالَا
وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَّرِدٍ الأَكْ
عُبِ جَوْرَ الزَّمَانِ وَالأَوْجَالَا
فَهْيَ تَمْشِي مَشْيَ العَرُوسِ اِخْتِيالاً
وَتَتَثَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالَا
فِي خَمِيسٍ مِنَ الأُسُودِ بَئِيسٍ
يَفْتَرِسْنَ النُّفُوسَ وَالأَمْوَالَا

ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي–ص٤٠٦–٤١٤–تح: عبد الوهاب عزام–ط لجنة التأليف والترجمة والنشر. د.ت، وكانت الأنوثة أحد مرتكزات أبي تمَّام للتَّعبير عن أفكاره في بائيته الشهيرة(السيف أصدق أنباء من الكتب) ومن إبراز الحرب في صورة الغزل فيها قوله في وصف عمورية:

وَبَرْزَةِ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا
كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ
بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ

واستدعاؤه للمرأة بصفة عامة في وصف المعركة كان بدافع المراوغة الفنيَّة وتكثيف المعنى، فالغزل كحديقة غنَّاء أو غابة مُلتفَّة الأشجار؛ تنضوي على ثراء متنوع، وتحمل أسرار الحياة والموت معًا، فالصورة المتناقضة للغزل تمثِّل معينًا ثرًا لوصف المعركة، ويبدو هذا في التَّلاحم بين السيف والمعركة والمرأة في قوله:

كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ

ونلقى تطوُّرًا جديدًا في هذا الاتجاه بين الغزل والأغراض الدِّينيَّة؛ تطورًا يستمدُّ جذوره من نظريَّة الحُلول والاتِّحاد في الفكر الصُّوفيّ؛ فيعبِّر الشَّاعر عن التَّجرِبة الصُّوفيَّة–غالبًا–من طريق الغزل الخالص مُذيبًا الحدود والفوارق بين الغرضين، ومُتَّخذًا من الغزل ستارًا ورمزًا على نحو قول الشاعر:(١)

فَلَيلَى وَهِنْدٍ وَالرَّبَابِ وَزَينَبٍ
وَعَلْيَا وَسَلْمَى دَعْدِهَا وَبُثَينَةِ
عِبَارَاتُ أَسْمَاءٍ بِغَيرِ حَقِيقَةٍ
وَمَا لَوَّحُوا بِالقَصْدِ إِلاَّ بِصُورَتِي

ولا يغيب أنَّ هناك علاقات ظاهرة مُنوَّعة؛ لُغويَّة ومعنويَّة وحِسيَّة تُبيح المُصاحبة أو الجمع أو التَّقارض بين الغزل وهذه الأغراض؛ كالعاطفة في التَّجرِبة الصُّوفيَّة، أو ازدواج معاني الكلمات بين الغزل والحرب مثل(لمعت كبارق) في قول عنترة السابق، أو التَّشابُه الحِسّي في الصُّورة كما في قول المُتنبي(ت٣٥٤هـ) في وصف انتصار سيف الدُّولة على أعدائه:(٢)

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيدِبِ كُلِّهِ
كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

وأخيرًا نرى نوعًا جديدًا من التَّراسل بين(الغزل والعلم)(٣) في التَّجرِبة الشِّعريَّة، والتَّعبير عن القضايا العلميَّة والعقليَّة في صورة غزليَّة وجدانيَّة كما سيأتي بعد قليل، وهو تقارب يفتقر إلى العلاقات الحِسيَّة الظاهرة، وتغيب فيه الصِّلات المعنويَّة الباطنة؛ مما يقفنا أمام عالم متخيَّل فريد، لكن هذا التَّقارب قد تُفسِّره حركةُ المجتمع الإسلاميّ، والوعي الجمعيّ العربيّ؛ فالعلم هو المحطَّة الكبرى التي لفتَ القرآنُ الإنسانَ إليها مُبكرًا في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ سورة العلق الآية الأولى وسواء أكانت القراءة بمعناها الحقيقي أو المجازي فإنَّها في الواقع تحثُّ على أن يكون للعِلم– نُور الله–دورٌ جوهريٌّ في حياة الأُمَّة، وأن يكون أغلى من

كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا
إِلَى المُخَدَّرَةِ العَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً
تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ
بِيضٌ إِذَا انتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ
أَحَقَّ بِالبِيضِ أَتْرَابًا مِنَ الحُجُبِ

ينظر: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي–١/٤٧– ٧١ – تح محمد عبده عزام – ط٥ دار المعارف، وما أحسن قول صريع الغواني من هذا الطريق:

إِذَا مَا نَكَحْنَا الحَرْبَ بِالبِيضِ وَالقَنَا
جَعَلْنَا المَنَايَا عِنْدَ ذَاكَ طَلَاقَهَا

ينظر: الشعر والشعراء–لابن قتيبة–٢/٨٣٤–تح: أحمد محمد شاكر–ط١–دار الحديث القاهرة١٤١٧هـ–١٩٩٦.

(١)جوهرة الدسوقي– إبراهيم الدسوقي–ص٨٨–ط دار الحسين الإسلامية د.ت، والأبيات في الطبقات الكبرى– عبد الوهاب الشعراني–١/١٨٢–ط١–دار الجيل. بيروت١٤٠٨–١٩٨٨م. مع وضع(بعدها) مكان (دعدها).

(٢) ديوان المتنبي ص٣٧٨.

(٣) الحديث عن العلم كغرض شعري في حاجة إلى دراسة دقيقة للأغراض الشعرية وتطورها، وسأتناوله في دراسة مستقلة بالتفصيل.

نفائس الدُّنيا جمعاء على نحو قول أبي الأسود الدُّؤلي(ت٦٩هـ):[١]

يَا جَامِعَ العِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ
لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا

ومع أنَّ هذه النظرة كاشفة عن تقدير بالغ للعلم وأثره، فإنَّ المُفارقة التي ترمي إليها هذه الدراسة هي أن يصبح حُبُّ العلم موازيًا لحُبِّ المرأة أو أن يكون بديلًا حقيقيًّا أو فنيًّا عن الحبيبة، ويظهر صدى لهذه الرؤية الجديدة في دروب الحياة العربيَّة؛ وتشتدُّ وضوحًا عند العُلماء العُزَّاب، الذين وقفوا حياتهم على العلم؛ لحبهم له، وانشغالهم به؛ فلهم أمور عجيبة تشهد على شدَّة الغرام والوله؛ من ذلك: بيع أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري(ت٣٢٨هـ) جاريته الحسناء لمزاحمتها العلم في قلبه؛ فقال الخليفة الراضي: "لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في قلب هذا الرجل"[٢]، ومنه: نسيان أبي الوفاء خليل الخالديّ(ت١٣٦٠هـ) زوجه في يوم عُرْسه لانشغاله بكُتبه.[٣]

ونرى صورة نسائيَّة طريفة تُجسِّد الإحساس بمُزاحمة العلم للمرأة في قلب الرجل في قول زوج محمد بن شِهاب الزُّهريّ(ت١٢٤هـ) له: "والله لَهذه الكتبُ أشدُّ عليَّ من ثلاث ضرائر"[٤]

في حين تعلو بعض الأصوات الشِّعريَّة التي تجعل من العلم بديلًا فنيًّا للمرأة كما في المُجاهرة الشِّعريَّة الطَّريفة للشَّافعيّ(ت٢٠٤هـ):[٥]

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لِي
مِنْ وَصْلِ غَانِيَةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ
وَصَرِيرُ أَقْلَامِي عَلَى صَفَحَاتِهَا
أَحْلَى مِنَ الدَّوْكَاءِ[٦] وَالعُشَّاقِ
وَأَلَذُّ مِنْ نَقْرِ الفَتَاةِ لِدُفِّهَا
نَقْرِي لِأُلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْرَاقِي
وَتَمَايُلِي طَرَبًا لِحَلِّ عَوِيصَةٍ
فِي الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِي

---

(١) معجم الأدباء –ياقوت الحموي–١٤٧٣/٤– تح: إحسان عباس–ط١–دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٤١٤هـ–١٩٩٣م.

(٢) معجم الأدباء٢٦١٧/٦.

(٣) العلماء العزاب –عبد الفتاح أبو غدة– ص٢٣٦–ط٧– دار البشائر الإسلامية . بيروت ١٤٣٥هـ–٢٠١٤م.

(٤) وفيات الأعيان لابن خَلِّكان– ١٧٨/٤– تح: إحسان عباس–ط دار صادر بيروت. د.ت. وقد ورد منسوبًا لزوجة الزُّبير بن بَكَّار. ينظر: وفيات الأعيان٣١٢/٢، تاريخ بغداد–الخطيب البغدادي–٤٨٦/٩– تح: بشار عواد –ط١– دار الغرب الإسلامي. ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م بيروت.

(٥)ديوان الشافعي ص٧٩–تح: نعيم زرزور– ط٤– دار الكتب العلميَّة. بيروت١٤١٢هـ–١٩٩٢م، والأبيات حائرة النِّسبة بين الشافعي وغيره، منهم الزمخشري(ت٥٣٨هـ) ينظر ديوان الزمخشري– ص٥٩٨– تح: عبد الستار ضيف–ط١–مؤسسة المختار١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م. وعلاقة العلم بالقلب والوجدان ذات بُعد في الفكر الإسلامي؛ وأبرز صورها في قول الغزالي في تعريف العلم: "العلم عبادة القلب وصلاة السِّر وقُربة الباطن إلى الله" إحياء علوم الدين– أبو حامد الغزالي٤٨/١– دار المعرفة – بيروت د.ت، وقريبٌ من حُبِّ العلم عشق الفنّ، وقد جاء هذا على نحو مُتكامل واضح مع التباين في الزَّمن في قصَّة (بجماليون) عند أوفيد وتوفيق الحكيم.

(٦) الدَّوكاء: الطِّيب. لسان العرب مادة(د و ك).

والملاحظ أنَّ هذا التَّسامي لجعل العلم بديلًا للحبيبة اتَّكأ على واقع اجتماعي؛ وهو ما يدفعني إلى القول بأنَّ الغزل العلميَّ يتماهى في نشأته مع نظريَّة (الانعكاس أو المحاكاة) التي قام عليها الأدب العربيُّ.[1]

وإذا كان هذا التَّقارُبُ بين الغزل والعِلم أمرًا منطقيًّا له ما يُفسِّره ويُبرِّره، فهل استطاع العلم أن يحافظ على هذه الصِّلة ويوطِّدها في تقارُب مضمون الغزل العلميّ مع مضمون شعر الغزل بوجه عام؟

المبحث الأول
الشِّعر العِلميُّ الغزليُّ
رؤيةٌ موضوعيَّة

المبحث الأول
الشِّعر العِلميُّ الغزليُّ رؤيةٌ موضوعيَّة

لعلَّ الفكرة الشَّائعة عن عجز هذا النَّوع من الشِّعر(المنظومات العلميَّة) عن التَّحليق في آفاق الخيال والفنِّ-لأنها أكثر أغراض الشِّعر التَّعليميّ جفافًا- تجعل للرؤية الموضوعيَّة أهميَّةً بالغة ودورًا بارزًا في هذه الدِّراسة، والمُضيُّ فيها يبرز ملامح القضيَّة، ويفتح آفاق الرُّؤية، وهو ما دفعني في هذا المبحث إلى القراءة الوصفيَّة التحليليَّة -غالبًا- لكونها الأقدر على عرض نماذج شعريَّة كاشفة عن مدى غنائيَّة هذا الشِّعر مع التزامه برسالته العلميَّة الصَّارمة، ولعلَّ السُّؤال الأبرز في هذا السِّياق سيكون عن مدى اتِّفاق محاور هذا الشِّعر الموضوعيَّة مع شعر الغزل عمومًا؟ وعن قدرته على تجاوز الحقيقية العلميَّة الجافة إلى الآفاق الخياليَّة الرَّحبة، وما هي العلوم التي شاركت في هذا الاتجاه، وما هي محاور التعبير عن الرُّؤية الغزليَّة؟

وجدير بالذكر الإشارة إلى أني سأتناول ظاهر التَّجرِبة في المتن، وسأشير إلى باطنها العلميّ في الهامش، مُغفلًا التَّسلسُل التَّاريخيّ للشُّعراء لصالح القضايا الموضوعيَّة.

---

(1) نظرية الانعكاس: إحدى نظريات النَّقد الأدبيّ لرصد مسيرة الشِّعر العربيّ وتطوره؛ وتعني: أنَّ الشِّعر العربي يحاكي الحياة العربيَّة أو هو ترجمة دقيقة لها وصورة صادقة لما يجري فيها.

وصف الحبّ وآثاره:

لعلَّ من المُسلَّم به في باب النَّسيب والغزل اتجاه الشُّعراء على اختلاف مشاربهم وتنوع مذاهبهم إلى وصف ما يعانون من أفانين الهوى والغرام، ووصف الحبيبة وجمالها الفتان، والحديث عن العذول والرقيب والواشي...إلخ، فهل اتفق الشِّعر العلمي الغزلي مع الشِّعر الغنائي في هذا الجانب؟

كثير من هؤلاء الشعراء يتحدثون في تجاربهم العلميَّة الغزليَّة عما أصابهم من جراء الهوى كالحزن الجاثم، والهم الدائم، والدمع المدرار؛ وقد بدا هذا بوضوح تام في منظومات الحديث النبوي؛ فهذا ابن فرحُون الأندلسيّ(ت٦٩٩هـ)[١]يُبدي غزير دمعه ودوام حزنه ونفاد صبره مع شدَّة تعلُّقه بمحبوبه:[٢]

غَرَامِي صَحِيْحٌ وَالرَّجَا فِيْكَ مُعْضَلُ
وَحُزْنِي وَدَمْعِي مُرْسَلٌ وَمُسَلْسَلُ
وَصَبْرِيَ عَنْكُمْ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ
ضَعِيْفٌ وَمَتْرُوْكٌ وَذُلِّيَ أَجْمَلُ

وصورة مَن غلبَه الهوى وجار عليه حبيبه من مألوف الغزل العربي، وقد استثمرها الشاعر جيدًا، وحاول جاهدًا-على امتداد قصيدته-أن يُظهر غزير دمعه، وعظيم ضعفه، ليُميل النفوس إليه، ويعطف القلوب عليه؛ ومنه قوله:[٣]

وَأَجْرَيْتُ دَمْعِيْ بِالدِّمَاءِ مُدَبَّجًا
وَمَا هِيَ إِلَّا مُهْجَتِيْ تَتَحَلَّلُ

وإن بدت(أجريتُ) قلقة في موضعها لأنها توحي بقدرته على البُكا لا غَلبة البكا له، فربما يُغضِي عنها الجمال في (الدماء-مهجتي تتحلَّل).

ويتفق معه في ذكر أمارات الحب أبو العرفان محمد بن علي الصبَّان(ت١٢٠٦هـ)[٤] الذي ترسم خطاها، وسار على منوالها، فذكر

---

(١) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فَرْح بن أحمد اللخمي الإشبيلي الشافعي، ولد بإشبيلية سنة ٦٢٤، وأسرته الفرنجة سنة ٦٤٦ثم نجاه الله، رحل في طلب العلم فقدم مصر سنة بضع وخمسين، فأخذ فيها عن العز بن عبد السلام وغيره، وبدمشق عن الكرماني وغيره، كان ثقة عالمًا دَيِّنًا ورعًا، تصدر لإقراء الحديث والفقه حتى وافته المنية في دمشق سنة ٦٩٩هـ. ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيات١٨٧/٧، تذكرة الحفاظ للذهبي-١٨٥/٤-ط١-دار الكتب العلمية بيروت١٤١٩ هـ-١٩٨٩م، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم- أبي بكر محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي- ٦٥/٧- تح: محمد نعيم العرقسوسي-ط١- مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٣م.

(٢) ذيل مرآة الزمان -قطب الدين اليونيني-٣٣٦/١-تح: حمزة أحمد عباس-ط١-هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث- المجمع الثقافي٢٠٠٧م، طبقات الشافعية الكبرى- تاج الدين السُبكي-٢٧/٨-تح: عبد الفتاح محمد الحلو وآخرين-ط دار إحياء الكتب العربية، مجموع مهمات المتون ص١١٨-ط٤- عيسى البابي الحلبي ١٣٦٩هـ-١٩٤٩م، وذكر في الأبيات من أنواع الحديث على الترتيب الصحيح والمعضل والمرسل والمسلسل والضعيف والمتروك والحسن.

(٣) السابق: الصفحة نفسها.

(٤) أبو العرفان محمد بن علي الصبان عالم وأديب مصري، مولده ووفاته بالقاهرة، له إسهامات في علوم كثيرة مابين منظوم ومنثور؛ منها: أرجوزة في العروض، وحاشية على شرح الأشموني على الألفية، وكتاب في علم الهيئة، وحاشية على شرح العصام على السمرقندية. ينظر في ترجمته: الأعلام٢٩٧/٦

الأسى والأحزان، ولزوم العشق والغرام، في قوله:[١]

صِلُوا صَحِيحَ غَرَامٍ صَبْرُهُ ضَعُفَا
وَبَدِّلُوا قَطْعَ مَنْ فِي حُسْنِكُمْ شُغِفَا
وَارْثُوا لِحَالِ عَلِيلٍ فِي مَحَبَّتِكُمْ
وَانْحُوا غَرِيبًا عَلَى أَبْوَابِكُمْ وَقَفَا
صَبٌّ تَفَرَّدَ فِي العُشَّاقِ مَا رُفِعَتْ
عَنْهُ الهُمُومُ وَلاَ عَنْهُ الضَّنَى صُرِفَا

ويجسد بناء الفعل للمجهول في(رُفِعتْ- صُرِفا) عمق مأساته وعظمها، إضافة إلى شواهد أخرى ساقها للتَّدليل على صدق حُبِّه وتفرُّده بين العُشَّاق منها طول الانتظار، وعدم التَّحول عن حبيبه في قوله: (على أبوابكم وقفا)، ودوام صبابته ووجده في قوله: (وَجْدُ ناره اشتعلت)، واستمرار بكائه في قوله: (ومرسل من دموع غير منقطع).[٢]وشاركهم في هذا النهج سائرًا على الدَّرب رفاعة الطهطاوي (ت١٢٩٠هـ)[٣] فذكر من علامات حبه البُكا والحزن والضعف، واشتهار حاله يُعرِب عن صدق مقاله:[٤]

صَحِيحُ جِسْمِي مِنْ فَرْطِ الهَوَى عَضُلا
وَمُرْسَلُ الدَّمْعُ مِنْ عَينِي قَدِ اتَّصَلا
تَوَاتَرَتْ قِصَّتِي فِي النَّاسِ قَاطِبَةً
حَتَّى لِضَعْفِي رَثَى لِي كُلُّ مَنْ عَذَلَا

ومن طريف هذا الباب ودونه في امتداد التجربة حديث ابن جابر الأندلسي(ت٧٨٠هـ)[٥] عن معاناته في حبه من خلال مصطلحات

(١)مجموع مهمات المتون ص١٢٢، وذكر الحديث الصحيح والضعيف والمقطوع والحسن والغريب والموقوف والمرفوع.

(٢) ينظر: الأبيات الثاني والرابع والخامس.

(٣)رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، رائد من رواد النهضة العلمية الحديثة في مص، تعلم في الأزهر، وأرسلته الحكومة إمامًا للصلاة مع بعثة الطلاب إلى فرنسا، فتعلم الفرنسية، وألف كتابه الشهير(تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ولما عاد إلى مصر أصدر جريدة الوقائع المصرية، وأسس دار الألسن. ينظر في ترجمته: الأعلام٣/٢٩.

(٤) ديوان رفاعة الطهطاوي ص٢٠٥-جمعه طه وادي-ط٣ دار المعارف١٩٨٤م، وتخليص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة الطهطاوي ص٦٠-ط دار الكتب المصرية١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، والأحاديث المذكورة على الترتيب: الصحيح والمعضل والمرسل والمتصل والضعيف والمتواتر.

(٥) الفقيه الضرير شمس الدين أو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المَرِّي المالكي، أخذ القرآن والنحو في الأندلس، ثم رحل في طلب العلم برفقة صاحبه أحمد بن يوسف الرُّعَيْنِيّ، فعرفا (بالأعمى والبصير)، فحج وقدم دمشق، ثم توجه إلى حلب سنة ٧٤٣، وبقي بها يؤلف وينظم والرعيني يكتب، إلى أن افترقا بزواج ابن جابر، من مؤلفاته شرح ألفية ابن مالك، نظم فصيح ثعلب، بديعية العميان، قصيدة في الظاء والضاد، مات سنة٧٨٠هـ. ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيات٢/١١٠، نكث الهميان في نكت العميان-الصفدي-١/٢٣٠- تعليق: مصطفى عبد القادر عطا-ط١- دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- ابن حجر العسقلاني-٥/٧٠-تح: محمد عبد المعيد خان-ط٢-مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد. الهند.

الحديث النبويّ وبنائها على الحوار مع محبوبته:[١]

قَالَتْ أَعِنْدَكَ مِنْ أَهْلِ الهَوَى خَبَرُ
فَقُلْتُ إِنِّي بِذَاكَ العِلْمِ مَعْرُوفُ
مُسَلْسَلُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنَيَّ مُرْسَلُهُ
عَلَى مُدَبَّجِ ذَاكَ الخَدِّ مَوقُوفُ

ومثله قول شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن صارو البعلي(ت٨١٤هـ)[٢] الذي حشد كثيرًا من صفات الحديث النَّبويّ للتعبير عن شعوره ووجدانه:[٣]

وَمُحَدِّثٌ حَسَنُ الحَدِيثِ غَدَا بِهِ
وَجْدِي صَحِيحًا وَالتَّسَلِّي مُعَضَلا
لَوْ لَمْ يَكُنْ صَبْرِي ضَعِيفًا عَنْهُ مَا
أَجْرَى الأَسَى دَمْعِي عَلَيهِ مُسَلْسَلَا

وجاءت المنظومات البلاغية(البديعيات)ذات صلة قوية بعالم الشعر الغنائيّ خاصة ما جاء منها في باب المدائح النبوية؛ وغالبًا ما تُستَهلُّ هذه البديعيات بالنَّسيب والغزل؛ ومنه بديعية الإربلي(ت٦٧٠هـ)[٤] أفاض في مطلعها في الحديث عن حبه وخضوعه وذُلِّه، وذكر سُهده وانكساره، وكثرة بكائه، وجفاء حبيبه وإعراضه، قال:[٥]

بَعْضُ هَذَا الدَّلَالِ وَالإِدْلَالِ
حَالَ بِالْهَجْرِ وَالتَّجَنُّبِ حَالِي
حِرْتُ إِذْ حُزْتَ رَبْعَ قَلْبِي وَإِذْ لَا
لِيَ صَبْرٌ أَكْثَرْتَ مِنْ إِذْلَالِي
رِقَّ يَا قَاسِيَ الفُؤَادِ لِأَجْفَا
نِ قِصَارٍ أَسْرَى لَيَالٍ طُوَالِ
شَارِحَاتٍ بِدَمْعِهَا مَجْمَعَ البَحـ
ـرَينِ فِي حُبِّ مَجْمَعِ الأَمْثَالِ

وكان لعلوم اللغة نصيب وافر في البُعد الغنائيّ وخصوصًا منظومات الغريب والمقصور والممدود كما في مقصورة ابن دُريد، ورائعة ابن

---

(١)أنوار الربيع في أنواع البديع- ابن معصوم المدني-٣/١٥٣-تح: شاكر هادي شاكر-ط١ مطبعة النعمان. العراق د.ت. وذكر في الأبيات من أنواع الحديث: المسلسل والمرسل والمدبج والموقوف.

(٢) شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن صارو البعلي، إمام محدث، وفقيه أديب، طلب الحديث في الكبر من المزي وأبي العباس الجزري، وله نظم رائق، توفي سنة٧٤٧هـ ، وقد ترجم له محقق أنوار الربيع خطأ فجعله من أهل القرن التاسع على ظن أنه(صارو) في تراجم السخاوي ينظر: أنوار الربيع٢/٢٥٨. ينظر في ترجمته. المعجم المختص بالمحدثين -شمس الدين الذهبي-ص١٠-تح: محمد الحبيب الهيلة-ط١-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي-١/١٥٨-تح: علي أبو زيد وآخرين-ط١-دار الفكر ١٤١٨هـ-١٩٨٨م. بيروت.لبنان.

(٣) أنوار الربيع٢/٣٥٩. وذكر في الأبيات من أنواع الحديث: الحسن والصحيح والمعضل والضعيف والمسلسل.

(٤)علي بن عثمان بن علي بن سليمان، أمين الدين السليماني الإربلي الصوفي الشاعر؛ كان من أعيان شعراء الناصر بن العزيز، وكان جنديًا فتصوف وصار فقيرًا، توفي بالفيوم وهو في معترك المنايا سنة ٦٧٠هـ. الوافي بالوفيات٢١/٢٠٠، فوات الوفيات-ابن شاكر الكُتبي-٣/٣٩-تح: إحسان عباس-ط١- دار صادر.بيروت١٩٧٣م، ذيل مرآة الزمان-قطب الدين اليونيني-٢/٤٨٠-ط٢-دار الكتاب الإسلامي القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٥) الوافي بالوفيات٢٣/٧١، والصبغ البديعي في الأبيات على الترتيب: الجناس اللفظي، الجناس الخطي، الطباق، الاستعارة.

مالك فيما يُقْصَرُ ويُمَدُّ، وقصيدة الظاء والضاد لابن جابر الأندلسي...إلخ، وقد تجلى النَّمَط الغزليُّ في نظم مُثلث قُطْرُب(مُربَّع) لعبد الوهاب البهنسي(ت٦٨٥هـ)[١]على نحو برزت فيه معاناته في حُبِّه؛ وتَغَضُّب حبيبه عليه، وهجره له، فذكر فيض دموعه، وطوايا ضلوعه، وجراح قلبه، ومن ثَمَّ توسَّل إلى حبيبه أن يكفَّ عن التَّجني والغضب:[٢]

يَا مُولَعًا بِالغَضَبِ وَالهَجْرِ وَالتَّجَنُّبِ
فِي جِدِّهِ وَاللَّعِبِ حُبُّكَ قَدْ بَرَّحَ بِي
إِنَّ دُمُوعِي غَمْر وَلَيسَ عِندِي غِمْر
يَا أَيُّهَا ذَا الغُمْر أَقْصِر عَنِ التَّعَتُّبِ

وقد أحسن في(جده واللعب) فأشار إلى ملازمة الألم له في كل أحوال محبوبه(الجد واللعب)؛ ففي الجِدِّ الخوف من حلول الهجر، وفي اللَّعب الخوف من انتهاء الوصل. وقد أكثر عثمان بن سَند النَّجدي(ت١٢٤٢هـ)[٣] في نظمه لعوامل النَّحو للجرجاني من الحديث عن قصة حبه الحافلة بالشَّقاء والعذاب، ولم تغب الدموع عن المشهد على طوله، من ذلك قوله:[٤]

كَفَى بِجِسْمِي وَغَزِيرِ أَدْمُعِي
يَا خِلُّ شَاهِدًا لِمَا فِي أَضْلُعِي

وذكرُ الحزن والضعف وغزير الدمع من أقوى الشواهد وأوضحها على تعلق القلب وصدق الحب، وهي تستمد قوتها من الواقع الإنساني والبُعد الإسلامي.[٥]

ويبدو أن هذا النمط الغزلي صار يمثل اتجاهًا في المنظومات اللغوية؛ فهذا الدِّيرينيُّ المعروف بالدميريّ الدهريّ(ت٦٩٤هـ)[٦]يستهل

---

(١) أبو القاسم عبد الوهاب بن الحسن المُهلبي البَهْنَسيّ وجيه الدِّين ، قاض أديب، من أهل البَهْنَسَا بصعيد مصر، كان وراقًا، ولي القضاء بمصر سنة٦٨٠هجرية إلى أن توفي سنة٦٨٥، وكان إماما في فقه الشافعية، عالما بالأصول والأدب، له" شرح مثلثات قطرب. ينظر في ترجمته: طبقات الشافعية- عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي-١/١٣٥-تح: كمال يوسف الحوت- ط١- دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م، الأعلام ٤/١٨٢. والنظم مازال حائر النسبة بينه وبين غيره.

(٢) المثلثات اللغوية -جلال شوقي -حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية جامعة قطر-ع٩/١٦٩-١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، والغمر على الترتيب: الماء الحقد الجهل.

(٣) بدر الدين عثمان بن سند النجدي الوائلي البصري، مؤرخ أديب، من نوابغ المتأخرين، أصله من عرب عنيزة، ولد بنجد، وسكن البصرة، وتوفي ببغداد. من مؤلفاته " الغرر في وجوه القرن الثالث عشر، ونظم مغني اللبيب، ونظم الورقات لإمام الحرمين. ينظر في ترجمته: هدية العارفين- إسماعيل باشا البغدادي- ١/٦٦١-ط دار إحياء التراث العربي بيروت. لبنان، الأعلام٤/٢٠٦.

(٤)هداية الحيران في كشف عوامل الجرجاني- بدر الدين عثمان بن سند النجدي-تح: عبد الله محمد آدم- مجلة جامعة الإمام- ص٢٤٨-عدد١٧-رجب ١٤١٧هـ ، وينظر أمثلة أخرى في الأبيات رقم ٣٠-١٢٢-١٤٦. واستخدم الألبيري الأندلسي مفردات علم العروض في التعبير عن هواه (الدائرة-مديد-طويل-بسيط)، وكذا الإدكاوي المصري ينظر في ذلك: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ١/٥٦٠.

(٥) ينظر: المائدة آية٨٣- والإسراء آية١٠٩.

(٦) عبد العزيز بن أحمد بن سعيد، عز الدين الديريني المصري الشافعي، ولد سنة٦١٢هجرية، أخذ عن العز بن عبد السلام وغيره، وطوف في ريف مصر، كان فقيهًا، متكلمًا، مؤرخًا، واعظًا، وشاعرًا حسن اللفظ ورائق

مُربَّعه في المُثلث بالغزل؛ فصور جواه، وفرط هواه، واحتفاء الوجود به ومشاركة الطبيعة له:[١]

أُرَاعِي النَّبْتَ مِنْ أَبٍّ وَحَبّ
وَأَشْهَدُ فِي الوُجُودِ جَمَالَ حِبِّي
وَأُدْهِشُ سُكْرَهُ مِنْ فَرْطِ حُبِّي
وَكَمْ أَهْدَى النَّسِيمُ إِلَيَّ عِطْرَا

ولكنه بعد قليل تحوَّل بالتَّجربة من الذاتيَّة إلى الوعظ المباشر، ورسمَ صورة مثاليَّة للعلاقة بين المُحبين من خلال النَّبرة الخطابيَّة العالية- ضمير المخاطب-الأكثر ملائمة للنثر من الشعر، قال:[٢]

إِذَا عَايَنْتَ سَيْلَ الْحُبِّ غَمْرَا
وَقَدْ مُلِئَتْ بِكَ الأَعْدَاءُ غِمْرَا
فَلَا تَكُ فِي الهَوَى يَا صَاحِ غُمْرَا
وَسِرْ عَسَفًا وَدَعْ زَيْدًا وَعَمْرَا
بِهِ تَرْجُو السَّلَامَةَ وَالسَّلَامَا
وَيَلْقَى مَنْ يُعَنِّفُكَ السِّلامَا
وَلَا تَجْبُرْ لِعَضَّتِهِ السُّلَامَا
وَصَرِّحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَاهُ جَهْرَا

وفي طلبه التصريح باسم من يهوى في البيت الأخير خروج على عادة الشعراء، ومخالفة لشريعة الهوى التي بُنيت على السِّر والكتمان.

وصف الحبيبة:

جاء الحديث عن الحبيبة وجمالها في هذا النوع من الشعر خافتًا، ومن ألطفه قصةُ مقصورات الخيام؛ زينب وظعنها، والحديث عن دَلّها ودلالها، وطيب نشرها وسنا ثغرها - في علم القراءات الذي يستعصي على الغنائيَّة- في قول بُلبُل الشعر التعليمي (الشَّاطبيّ)[٣] (ت٥٩٠هـ):[٤]

النظم، له مؤلفات في علوم كثيرة منها: المصباح المنير في علم التفسير في مجلدين، نظم الوجيز للغزالي في فروع الفقه الشافعي، والشجرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٦٩٤هجرية. ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيات١٨/٢٨٤، طبقات الشافعية الكبرى٨/١٩٩،حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة- السيوطي١/٤٢١-تح: محمد أبو الفضل إبراهيم-ط١- دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

(١)المثلثات اللغوية-حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر-عدد٩/٢١٥.

(٢) شرحان على مثلثات قطرب - لويس شيخو - مجلة المشرق - ع ١٢ ص٦٩٢- سنة ١٩٠٩م، مربع في مثلثات قطرب اللغوية للديرينيّ - عدنان عمر الخطيب - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد الحادي والثمانون - الجزء الثالث - ص ٦١٠ - ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م، والسلام على الترتيب: التحية والحجارة وظاهر اليد.

(٣)أبو محمد القاسم بن فِيْرُّة بن خلف بن أحمد الرُّعَيْنِيّ الشَّاطبي الضرير، كان إمامًا عالمًا نبيلًا محققًا واسع الحفظ، أستاذًا في العربية، ولد بشاطبة، إحدى ثغور الأندلس، في آخر سنة ٥٨٨هجرية، فنشأ فيها، وتلقي فيها القرآن والنحو واللغة؛ وبرع في القرآن والقراءات، فقرأ الناس عليه في بلده، خرج إلى الحج ثم قدم الإسكندرية سنة ٥٧٢، وسمع على السِّلَفي، ثم نزل القاهرة واستوطنها، فولاه القاضي الفاضل مشيخة الإقراء بمدرسته حتى وفاته سنة٥٩٩هجرية. ينظر في ترجمته: معجم الأدباء٥/٢٢١٦، إنباه الرواة على أنباه النحاة- جمال الدين القفطي-٤/١٦٠-تح: محمد أبو الفضل إبراهيم-ط١-دار الفكر العربي القاهرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٢م، وفيات الأعيات٤/٧١.

(٤) حِرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع-القاسم بن فِيرُّه الشاطبيّ-ص٣٤-ضبط وتصحيح: وليد بن

نَعَمْ إِذْ تَمَشَّتْ زَينَبٌ صَـــالَ دَلُّهَا
سَمِيَّ جَمَالٍ وَاصِلًا مَنْ تَوَصَّلَا
فَإِظْهَارُهَا أَجْرَى دَوَامَ نَسِيمِهَـا
وَأَظْهَرَ رَيَّا قَولِهِ وَاصِفٌ جَلَا
وَقَدْ سَحَبَتْ ذَيلًا ضَفَا ظَلَّ زَرْنَبٌ
جَلَتْهُ صَبَاهُ شَائِقًا وَمُعَلَّلَا
وَأَبْدَتْ سَنَا ثَغْرٍ صَفَتْ زُرْقُ ظَلْمِهِ
جَمَعْنَ وُرُودًا بَارِدًا عَطِرَ الطِّلَا

فهذه المقطوعة ذات صِبغة غنائيَّة رائعة، ولا أعلم غيرها في القراءات، في حين جاءت مشاركةُ علم العروض كثيرة ومتنوعة ولكنها مشاركات جزئية محدودة؛ ففي القصيدة الخزرجيَّة ذكر الخزرجيُّ الأندلسيُّ(ت٦٢٦هـ)[١] الحبيبة وجمالها الفائق، وحسنها الرائق، وسهامها النَّافذة إلى مُستقر النَّفس وموطن الرُّوح في بيتين لا ثالث لهما:[٢]

أَصَابَتْ بِسَهْمَيْهَا جَوَارِحَنَا فَدَا
رِكُونِي بِهِمَّةٍ كَوَقْعَيهِمَا (سَوَا)[٣]
فَمَا زَائِرَتِي فِيهِمَا حَجَبَتْهُمَا
وَلَا يَدُ طُولَاهُنَّ يَعْتَادُهَا الوَفَا

وتضمين علم العروض في الغزل باب طريف واسع، وأرى أنه يمتُّ بسبب قوي إلى ما نحن بصدده، ومنه قول بُرهان الدين القِيراطي(ت٧٨١هـ)[٤]عن دعج العيون وسحر الجفون:[١]

رجب بن عبد الرشيد بن عجمي– ط١–مكتبة أولاد الشيخ للتراث ٢٠٠٩م. وزينب في قصيدة الشاطبي تشير إلى زينب في قصيدة صالح بن عبد القدوس:

صَرَمَتْ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ
وَالدَّهْرُ فِيْهِ تَصَرُّمٌ وَتَقَلُّبُ

فأشعر بينهما بصلات الودِّ والقُربى وإن تباعد بينهما الزمان واختلفت البلدان، وإن غاب البُعد الغزلي عن قصيدة صالح بن عبد القدوس، فيبقى البُعد الرَّمزي والأُنثويُّ أحد محاور التَّجربة عند الشاعرين الكبيرين، وكلاهما ناظر إلى قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَة:

صَرَمَتْ زُنَيْبَةُ حَبْلَ مَنْ لَا يَقْطَعُ
حَبْلَ الخَلِيلِ ولَلأَمَانَةَ تَفْجَعُ

ينظر في قصيدة صالح بن عبد القدوس: معجم الأدباء ١٤٤٦/٤، وحياة الحيوان الكبرى للدميري–٥٠/١– ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ، وينظر في قصيدة متمم: المفضليات–المفضل الضبي–ص٤٨–تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون–ط٦–دار المعارف. القاهرة.

(١) أبو محمد عبد الله بن محمد الخزرجي ضياء الدين: عروضي أندلسي نزل بالإسكندرية وتوفي قتيلا. له القصيدة الخزرجية في العروض، وعِلل الأعاريض، توفي سنة ٦٢٦هـ. الأعلام١٢٤/٤، معجم المؤلفين– عمر رضا كحالة–١١٧/٦–ط مكتبة المثنى. بيروت١٤٠٨هـ.

(٢) مجموع مهمات المتون ص٧٦٦، وهو يرمز في البيتين لأجزاء التفعيل العشرة التي ذكرها في البيت السابق على البيتين، وقد أشار إليها بحروف أبجد هوز

(٣) (سِوى)بكسر السين عند من أورد القصيدة، والصواب أنها (سواء) حُذِفت همزتها.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم ... برهان الدين المعروف بالقيراطي المصري الشافعي، من أدباء مصر، ولد سنة٧٢٢هـ، نشأ في القاهرة، وتفقه على جلة علماء عصره حتى صار عالمًا تشد إليه الرحال، برع في الشعر والنثر، جمع ديوان شعره ونثره ، وأعد له خطبة، وجاور بمكة، وبها توفي سنة٧٨١هـ. ينظر في ترجمته: الكتيبة الكامنة٣٢/١،المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي–

وَمَلِيحٍ عِلْمَ الخَلِيلِ يُعَانِى
لَيتَهُ لَو غَدَا خَلِيلَ خَلِيعِ
رُمْتُ وَصْلاً مِنْهُ فَقَالَ لِحَاظِى
نَاطِقَاتٌ بِأَحْرُفِ التَّقْطِيعِ

ولابن جابر الهواري الأندلسيّ(ت٧٨٠هـ) إسهامات غزلية كثيرة من خلال العروض استطاع النفاذ فيها إلى آفاق شعرية لطيفة؛ فجعل رموز العروض علامة وعنوانًا لجمال حبيبته؛ بيد أنه تحوَّل من الجمال المعنوي إلى الجمال الحسي؛ هيف الخَصر وثقل الرَّدف في قوله:(٢)

سَبَبٌ خَفِيفٌ خَصْرُهَا وَوَرَاءَهُ
مِنْ رِدْفِهَا سَبَبٌ ثَقِيلٌ ظَاهِرُ
لَمْ يُجْمَعِ النَّوعَانِ فِي تَرْكِيبِهَا
إِلَّا لَأَنَّ الحُسْنَ فِيهَا وَافِرُ

بينما تحررت قصيدة (لمجهول) في آلات الطرب ومقامات الأنغام من أغلال العلم والجزئية والصنعة، وحلق الشاعر في آفاق الجمال والخيال، ومطلعها:(٣)

كَمْ بَاتَ يَرْصُدُ نَاظِرِي
بَدْرٌ كَغُصْنٍ نَاضِرِ

فذكرَ حلو الكلام، وأسماء الأنغام، مختلطًا بالآلام، ومزج الوجداني بالحسي، واستعطف العذول والواشي على نحو فريد، ومنها قوله:

لَمَّا يُغَنِّي بِنْجِكَاه يَزِيدُ طَرْفِي فِي بُكَاه
مِنْ عِظْمِ وَجْدِي صِحْتُ آه هَلْ مِنْ فَتَى يَكُ عَاذِرِي
هَاتُوا اسْمِعُونِي الجَارِكَاه فَالْبَينُ قَلْبِي قَدْ كَوَاه
وَالرُّكْبِ لاَ أَضْحَى دَوَاه مَعَ الرَّهَاوِي الفَاشِرِي

العذول:

ألمَّ هؤلاء الشعراء بطرف من الحديث عن العذول والرقيب، ومنه ما ذكره ابن فرحون عن ملاحقة العذول له، وإنكاره لحديثه، وعدم التفاته إليه:(٤)

وَعَذْلُ عَذُولِي مُنْكَرٌ لاَ أُسِيغُهُ
وَزُورٌ وَتَدْلِيسٌ يُرَدُ وَيُهْمَلُ

وقد أكثر ابن سند النَّجديُّ من الحديث عن العذول، وتنوَّع حديثه بين الإعراض عنه أو دعوته إلى اللطف والتَّرفق، أو ذمِّه...إلخ ومن ذلك قوله:(٥)

فَلاَ بَرَاحَ عَنْ هَوَاهَا يَوْمَا
حَتَّى وَلَوْ لاَمَ العَذُولُ لَوْمَا

ومن الملاحظ أن البُعد الغزلي في الشِّعر العِلميّ الديني كمنظومات الحديث والبديعيات...إلخ يختلف عن البُعد الغزليّ في الشِّعر الغنائيّ في ميله إلى المعنوي لا الحسي،

يوسف بن تغري بردي-٨٩/١-تح: محمد محمد أمين- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، شذرات الذهب في أخبار من ذهب- ابن العماد الحنبلي-٤٦٥/٨-تح: محمود الأرناؤوط-ط١- دار ابن كثير، دمشق - بيروت١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(١) أنوار الربيع٢٩٠/٢، وجمعوا أحرف التقطيع في: (لمعت سيوفنا).

(٢) أنوار الربيع ٢٩٠/٢.

(٣) مخطوط دار الكتب المصرية- ميكروفيلم رقم٥٠٩لوحات رقم١٢١-١٢٢.

(٤) ذيل مرآة الزمان -قطب الدين اليونيني٣٣٦/١.

(٥) هداية الحيران البيت رقم ٦٣. وقد ذكر العذول في منظومته(أرجوزة مزدوجة) (١٣) ثلاث عشرة مرة، ينظر أمثلة أخرى في الأبيات رقم:٦٦-٦٨-٧٠-٨١-٨٢-٩١-١٠٣-١١٠-١٢٤-١٣٤-١٣٦-١٤٠.

وربَّما كان لشرف العلوم وخُصوصيَّة التَّجربة دور في ذلك؛ لاتصال هذا الميدان بالدين الأعظم، والنبي الأشرف، وأغلب شعرائه من العلماء والفقهاء، فالصيانة من الدِّيانة، وما بعيد عنَّا قول ابن حِجَّة في هذا الشَّأن: "يتعيَّن على الناظم أن يحتشم في الغزل الذي يُصَدِّر به المديح النبوي، ويتأدب ويتضاءل، ويشبِّب مُطربًا بذكر سَلْعٍ ورامَة، وسفح العقيق... ويطرح ذكر محاسن المُرْد، والتغزل في ثقل الرِّدف، ورِقَّة الخَصر، وبياض السَّاق، وحُمْرة الخدِّ..."[١] وعلى هذا جرى ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ) في مدحه للنبي الأكرمﷺ:[٢]

أَبْكِي عَقِيقًا وَهْوَ دَمْعِي وَالغَضَا
وَهْوَ الَّذِي بَيْنَ الجَوَانِحِ يُضْرَمُ

ومن الملاحظ أن التَّجارب السَّابقة يغلب فيها ازدواج الموضوع(الغزل والعلم) كالشعر الرمزي أو السياسي، مع الاختلاف في دوافع الازدواج بين هذا وذاك، وهو ازدواج مفروض على الشاعر يصعب تجنُّبه أو الهروب منه، وألمح شيئًا من التطور في هذا الجانب في قدرة بعض التَّجارب على التَّحرُّر من ثنائيَّة الموضوع(الغزل والعلم) إلى الغزل في موضوع العلم نفسه، ومن ذلك قول الشيخ عبد الرحمن الملَّاح(ت١٠٤٤هـ)[٣] متغزلًا في أسماء منازل الحج المصرية في صدر مدحته لأبي المواهب البكريّ الصديقي، ومطلعها:[٤]

مَنَازِلُ الحَجِّ فِي قَلْبِي مَطَالِعُهَا
كَتَبْتُهَا ضِمْنَ أَشْعَارِي أُطَالِعُهَا
رِدْ بَكْرَةً مِنْ عُيونِي بِرْكَةً فَعَسَى
بِقَرِبِ عطْفٍ لِغُزْلانٍ أُتَابِعُهَا
فَإِنَّ دَارَهُمُ الحَمْرَاءَ فِي كَبِدِي
قَدْ أُشْعِلَتْ بَينَ أَحْشَائِي مَصَانِعُهَا
وَحُسْنُ نَخْلِ أَبِي زَيْدٍ وَقَدْ حَمَلَتْ
مِنَ الثِّمَارِ زَكَتْ عِنْدِي صَنَايِعُهَا[٥]

وهذا الانفلات على قِلَّته يمثِّل نقلة فنيَّة كبيرة، ومرحلة من مراحل التحوُّل الموضوعيُّ المؤثِّرُ في حياة هذا الشِّعر، وقد جاء هذا التطور الموضوعي(الغزل في موضوع العلم

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع١/٩١.
(٢) ديوان ابن حجر العسقلاني- ص٣-جمع وتعليق الدكتور السيد أبو الفضل-طبعة ١٣٨١هـ-١٩٦٢م حيدر أباد الدكن. الهند.
(٣) عبد الرحمن بن يحيى بن محمد الملاح الحنفي المصري أديب شاعر كاتب، كان كاتب الشيخ زين العابدين بن محمد البكري، فأخيه أبي المواهب، فأحمد بن زين العابدين، له منظومة (قرة العين في فرح الزين) وصف فيها بعض عادات مصر في أيامه كالكسوة والبهلوان والمصابيح والطعام...إلخ توفي بالقاهرة سنة١٠٤٤هـ - ١٦٣٥ م. ينظر في ترجمته: الأعلام - خير الدين الزركلي-٣/٣٤١-ط١٥-دار العلم للملايين٢٠٠٢م.
(٤) أسماء المنازل المصرية وضبطها بالدرج، مخطوط دار الكتب المصرية، مجاميع ٧٣٩رسالة٢ ميكروفيلم٥١٣٤، لوحة رقم ١٩، وقد جاء الغزل في ستة عشر بيتًا في مطلع القصيدة.
(٥) والمنازل المصرية للحجيج في الأبيات هي: البركة- الدار الحمراء-المصانع- نخل أبي زيد. ينظر فيها السابق لوحة١٨.

نفسه) في أوضح صُوَره في شعر الصنعة(الكيمياء)،وهو نوع من التَّراسل الفنِّي أو الامتزاج الحقيقيّ بين العلم والفن؛ يثير فيه العلم صورًا عاطفيَّة ويتشكل في خيالات أنثويَّة في حِسِّ الشَّاعر ووجدانه؛ وربما يرجع ذلك إلى استيلاء الكيمياء على قلوب المشتغلين بها، وهيام العلماء بها؛ ومن ذلك قصيدة محمد بن أُميل التميمي(ت ١٧٠ تقريبًا)[١] في الكيمياء والحجر المُكرَّم ومطلعها [٢]

أَثَارَ البَيْنُ وَجْدَكَ وَالحَنِيْنَا
عَشِّيَةَ وَدَّعَ المُتَحَمِّلِيْنَا
وَقُلْ فِيْمَا عَلِمْتَ مَقَالَ صِدْقٍ
وَإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفُ الحَاسِدِيْنَا
مِنَ الحَجَرِ الَّذِي كَتَمَ الأَوَالِي
بِأَلْفَاظٍ تُقِرُّ بِهَا العُيُونَا

ومن هذا اللون ما ذكره ابن أرفع رأس(ت٥٩٣هـ تقريبًا)[٣] في طائيته عن الكيمياء، في وصفه لآلة التَّركيب الكيميائي وتصويرها بأنها حسناء هيفاء كأن وجهها البدر:[٤]

وَلَاقِطَةٍ حَبَّ القُلُوبِ بِحُسْنها
تُعَذِّبُهَا شَوقًا وَتَقْتُلُهَا نَحْطَا[٥]
كَأَنَّ العُيُونَ الثَّابِتَاتِ بِخَصْرِهَا
عُقِدْنَ نِطَاقًا أَوْ عَلَى جِيدِهَا سِمْطَا
كَأَنَّ مِنَ الْبَدْرِ المُنِيْرِ مُشَابِهًا
وَمِنْ أَنْجُمِ الجَوْزَاءِ فِي أُذْنِهَا قُرْطَا
كَأَنَّ مِنَ الصُّدْغِ الَّذِي فَوقَ خَدِّهَا
عَلَى وَرْدِهِ نُونًا وَمِـــنْ خَالِهِ نَقْطَا

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن بعض التجارب العلميَّة الغزليَّة حقيقيَّة؛ موضوعها

---

(١) أَبو عبد الله محمد بن أُمَيل بن عبد الله بن أميل التَّمِيمِي الْحَكِيم ، كيمائي وأديب شاعر، وله عدة قصائد في نظم الصنعة منها: قصيدة في وصف الحجر المكرَّم، وقصيدة رسالة الشمس إلى الهلال، وقصيدة في الصور البرباوية(الهيروغليفية) توفي سنة١٧٠هـ، وقد جعله الدكتور جلال شوقي خطأ من أهل القرن الرابع. ينظر العلوم العقلية في المنظومات العربية ص٥٤٤، وينظر في ترجمته: كشف الظنون ١٥٧٦/٢- ١٧٥٥،هدية العارفين ٨/٢، معجم المؤلفين٦٨/٩.

(٢) العلوم العقلية في المنظومات العربية- جلال شوقي- ص ٥٤٦-ط١-مؤسسة الكويت للتقدم العلمي١٩٩٠م.

(٣) أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن خلف الأندلسي الجَيَّاني نزيل فاس ، ولد سنة ٥١٥هجرية بجيان، أخذ القراءات والعلم عن جلة علماء عصره، وتصدر للإقراء بمدينة فاس، وولي الخطابة بجامع القرويين، كان مقرئًا أديبًا شاعرًا، وإليه ينسب ديوانه (شُذور الذَّهب) في الكيمياء على حروف المعجم. ينظر في ترجمته: التكملة لكتاب الموصول والصلة – ابن الأَبَّار القُضاعي – تح: عبد السلام الهراس – ٢١٩/٣– ط دار الفكر– بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، الوافي بالوفيات ١٦٢/٢٢، فوات الوفيات – ابن شاكر الكُتُبي – تح: إحسان عباس – ١٠٦/٣ – ط١ – دار صادر بيروت ١٩٧٤م.

(٤) الوافي بالوفيات – الصفدي-١٦٣/٢٢-تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى-ط دار إحياء التراث. بيروت، وشعرية الكيمياء طائية ابن أرفع رأس أنموذجًا- مجلة معهد المخطوطات العربية مج ٥٧- ع٦٤/١- جُمادى الآخر١٤٣٤هـ-مايو٢٠١٣م، ورواية الديوان تختلف عن رواية الوافي على النحو التالي: استبداله في البيت الأول(خصرها بحسنها)، وفي البيت الثاني(النابتات بالثابتات) ووضع البيت الثالث مكان الثاني، ورواية الصفدي أجمل وأدق وأصح.

(٥) النحط : التعب والمشقة . اللسان (ن ح ط).

المرأة، فعبَّرت عن شوق قائليها وما يعانون من جراء الهوى الجارف، من ذلك قول أحد الشعراء يستفتي أحد القُضاة: [1]

يَا أَيُّها العَالِمُ مَاذَا تَرَى
فِي عَاشِقٍ ذَابَ مِنَ الوَجْدِ
مِنْ حُبِّ ظَبْيٍ أَهْيفٍ أَغْيَدٍ
سَهْلِ المُحَيَّا حَسَنِ القَدِّ
فَهَلْ تَرَى تَقْبِيلَهُ جَائِزًا
فِي النَّحْرِ وَالعَينَينِ وَالخَدِّ
مِنْ غَيرِ مَا فُحْشٍ وَلَا رِيبَةٍ
بَلْ بِعِنَاقٍ جَائِزِ الحَدِّ
إِنْ أَنْتَ لَمْ تُفْتِ فَإِنِّي إِذًا
أَصِيحُ مِنْ وَجْدِي وَأَسْتَعْدِي

وفي هذا الإطار نفسه تجاوز ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (ت٧٥١هـ) في نونيته(الكافية الشافية) الحديث عن عرائس الدنيا إلى الحديث عن عرائس الآخرة (الحور العِين) ، وحثَّ على السَّعي لوصِالهنَّ والجِدِّ لنيلهنَّ، مُتكئًا في وصفهنِّ على القرآن والسُّنة، ومطلعها:[2]

يَا خَاطِبَ الحُورِ الحِسَانِ وَطَالِبًا
لِوِصَالِهِنَّ بِجَنَّةِ الحَيَوَانِ

وما أحلى كلمة (الحيوان) فلها عبق أخروي جميل، وبعد دليل عميق، ومن متخير قصيدته قوله:

وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الأَغْصَانِ

وقوله:

حُمْرُ الخُدُودِ ثُغُورُهُنَّ لَآلِئٌ
سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأَجْفَانِ

وقوله:

وَالرِّيحُ مِسْكٌ وَالجُسُومُ نَوَاعِمٌ
وَاللَّوْنُ كَالياَقُوتِ وَالمَرْجَانِ

بينما تعلقت بعض التجارب العلميَّة بالمرأة من جانب آخر؛ فحاولت رسم صورة مثالية ناصعة للحب وصوره، وما يجب أن يتحلى به من يتعاطاه من الصفات الجميلة والسجايا الحميدة؛ كمنظومة(فصل الخطاب في وصل الأحباب)لبدر الدين الدمشقي عن العلاقة الزوجية وآدابها، وأرجوزة حمدان بن أَبَان اللاحقيّ في وصف الحب وفصوله، ودرب الهوى وأصوله، ذكر فيها أصناف المحبين من عفيف وخبيث وماجن ؛ اخترت منها قوله عن المُحب العفيف: [3]

وَمِنْهُمُ مَنْ اقْتَصَرْ عَلَى الحَدِيثِ وَالنَّظَرْ

---

(1)طبقات الشافعة الكبرى للسبكي-١٦/٥-تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو-ط دار إحياء الكتب العربية، وقد أفتاه القاضي أبو الطيب بأبيات جيدة، أعرضت عن ذكرها للإيجاز. وينظر مثال آخر من هذا النوع بين أبي المعالي محمد بن مسعود القسام والوركاني. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى٦٧/٧، ومنه مطارحات شعرية بين أبي نصر بن القاسم القُشيري وسائليه. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى١٥٩/٧

(2) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص٢٥٤، والأبيات في الكافية الشافية مع اختلاف في الترتيب. ينظر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية -ابن قيم الجوزية-ص٢٨٠-تح: محمد بن عبد الرحمن العريفي وآخرين-ط١-دار عالم الفوائد١٤٢٨هـ.

(3)الأوراق- قسم أخبار الشعراء للصولي ص٥٩-٦١- تح:ج.هيورث.د. ن- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة.

غَايَتَهُ السَّلَامُ وَاللَّحْظُ وَالكَلَامُ
مُدَافِعٌ عَنْ حُبِّهِ يَكْتُمُ وَجْدَ قَلْبِهِ
يَنْفِي الهَوَى وَيُنْكِرُهْ وَبِالتَّبَرِّي يَسْتُرُهْ
فَذَاكَ حُبُّ العَاقِلِ حُبُّ أَدِيبٍ كَامِلِ

وخلاصة القول في ذلك:

١- ارتدى الشِّعر العلميُّ المُثقل برسالته العلميَّة الجافة حُلَّةَ الشِّعر الغنائي وعبَّر من خلال الغزل عن قضاياه الشائكة ببراعة شائقة.

٢- ثمة علاقة حقيقيَّة وطيدة، وروابط روحيَّة أكيدة، بين الثالوث الجميل؛ الدين والعلم والحب، وقد تجلَّت مظاهر هذه العلاقة في الغزلِ العلميِّ.

٣- اتفق مضمون الغزل العلميّ إلى حد بعيد مع مضمون الغزل عمومًا في ذكر لواعج الشوق وآلام البُعد، والحديث عن أماني اللقاء والوصل، وكاد يُنسينا صلته بالتَّجربة العلميَّة.

٤- سلك الشِّعر العلميُّ طريق الغزل العذريِّ؛ فتحدث الشُّعراء عن معاناتهم وآلامهم ولم يتطرقوا إلى المحبوبة إلا بما يتَّفق وقواعد الغزل العفيف والبيئة العربيَّة المحافظة.

٥- شاركت كثير من العلوم في عرض مضمونها من خلال فنِّ الغزل كعلوم الحديث والقراءات واللغة والعروض والكيمياء...إلخ بنسب متفاوتة.

المبحث الثاني
الشِّعر العلميُّ الغزليُّ
وقضاياه الفنيَّة

المبحث الثاني
الشِّعر العلميُّ الغزليُّ وقضاياه الفنيَّة

الغزل العلمي ظاهرة فنيَّة:

يجري الكلام هنا عن هذا التَّوجه الجديد للشِّعر التَّعليميِّ(الغزل العِلميِّ) وهل هو محاولات فرديَّة من الشُّعراء أو أنه يمثِّل ظاهرة فنيَّة واتِّجاهًا واضحًا متناميًا يُعلن عن نفسه، ويعمق جذوره على مرِّ الزَّمن؟ وهل يمثِّل أحد محاور حركة التَّحوُّل في تاريخ الشِّعر التَّعليميِّ والتَّأسيس لمرحلة جديدة باتجاه الفنِّ الخالص؟ وما هي العلوم التي عبَّر عنها هذا الفنُّ ونقلها؟ وللوقوف على ذلك استخدمتُ ثلاثة معايير: الكثرة والقِلَّة، ورصد الظاهرة على مرِّ العصور، وتوزُّعها على العلوم والفنون، وسأعرض لذلك مستخدمًا المنهج التاريخي والإحصائي من خلال جدول، ثم أُتبعُه بالتَّحليل الفنيِّ على نحو يُبرز القضايا محلَّ الدِّراسة:(١)

(١) سأشير في الهامش إلى مصادر القصائد المفقودة والتي لم تصل إليها يدي.

الشاعر	القصيدة
محمد بن أُمَيل التميمي(ت١٧٠هـ)	منظومتان في الكيمياء
عبد العزيز بن تمام(من علماء القرن الرابع الهجري)	منظومة في الكيمياء
(الشَّاطبيّ)(ت٥٩٠هـ)	منظومة في القراءات
ابن أرفع رأس (ت٥٩٣هـ)	منظومة في الكيمياء
أمين الدين السليماني الإربلي(ت٦٠٧هـ)	منظومة في البديع
أبو الجيش الخزرجي(ت٦٢٦هـ)	منظومة في العروض
ابن فرحون الأندلسي(ت٦٦٩هـ)	منظومة في الحديث
عبد الوهاب البهنسي(ت٦٨٥هـ)	منظومة في مثلث قطرب
عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني المعروف بالدميري الدهري(ت٦٩٤هـ)	منظومة في مثلث قطرب
ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)	منظومة في الحور العين
ابن جابر الأندلسيّ(ت٧٨٠هـ)	مقطعات متعددة في مختلف العلوم
برهان الدين القيراطي(ت٧٨١هـ)	بيتان في العروض
ابن صارو البعلي(ت٨١٤هـ)	مقطعات في مختلف العلوم
ابن عربشاه(ت٨٥٤هـ)[١]	ثلاث منظومات في النحو والصرف والبلاغة
عثمان بن أحمد النقاش المعروف بابن ثفالة من علماء القرن التاسع[٢]	منظومة في الصرف
عبد الرحمن الملاح(ت١٠٤٤هـ)	منظومة في منازل الحج
عبد الله الشبراوي(ت١٠٧٢هـ)[٣]	منظومة في العروض
عبد الله بن سلامة الإدكاوي(١١٨٤هـ)[٤]	منظومة في العروض، وأربعة أبيات في النحو، وأربعة في المنطق، وأربعة في علم النجوم
علي بن عنتر الرشيدي(ت١١٩٥هـ)[١]	منظومتان في النحو والعروض

(١) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع-السخاوي-١٢٨/٢-١٣٠-ط دار الجيل. بيروت.

(٢)ينظر: الضوء اللامع١٢٥/٥.

(٣) فهرس المخطوطات العربية بدار الكتب المصرية١٥٩/١ -تحرير: عبد الستار الحلوجي-ط مؤسسة الفرقان.لندن١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

(٤)ينظر: عجائب الآثار٥٦٠/١.

عثمان بن سند النجدي(ت١٢٤٢هـ)	منظومة في النحو
حسن العطار(ت١٢٥٠هـ)	منظومة في النحو
رفاعة الطهطاوي(ت١٢٩٠هـ)	منظومة في الحديث
مجهول	منظومة في آلات الطرب

(١) ينظر: عجائب الآثار في التراجم والأخبار- الجبرتي-٩٦/٢-تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم-ط دار الكتب والوثائق المصرية١٩٩٨م.

١-استقصيت غاية جهدي وقدر طاقتي ووسعي، والإحاطة لله وحده، فمازال الكثير من المنظومات العلمية مخطوطًا أو مفقودًا أو عبثت به يد الزمان.

٢-مجمل ما وقفتُ عليه من التَّجارب(٣٥)خمس وثلاثون قصيدة تقريبًا، وهي تتفاوت في امتدادها مابين مُقطَّعة أو مقدمة لغرض أو قصيدة كاملة، وهي تعطي تصورًا جيدًا لرصد حركة التَّحول من العلميَّة الجافة إلى الغِنائيَّة الرحبة، وتقدِّم مُعطيات يُطمَأنُّ إلى نتائجها في التأسيس للظاهرة.

٣-بدأت الظاهرة مبكرًا في القرن الثاني الهجري تقريبًا، وازدهرت في العصر الذَّهبي للعلوم الإسلاميَّة(العصر العباسي)،وتوالت على امتداد العصور الأدبيَّة، وهو ما يؤشِّر إلى استمرار الفكرة وتناميها وتطوُّرها عبر الزمن.

٤-لم يسهم أحد من كبار الشعراء المُخلَصين في الشِّعر التَّعليميّ الغزليّ، وهو ما يعني أن الحركة الأدبيَّة بمعناها الدقيق كانت بمعزل عن هذا الشِّعر، أو تعتبره خارجًا عن حدود الفنِّ، أو على أقل تقدير لم تتنبَّه له من هذه الوجهة محلّ الدِّراسة.

٥-شاركت كثيرٌ من العلوم في تقديم مضمونها من منظور فنيٍّ (شعر الغزل) في محاولة للتعبير عن العلوم من منظور جديد، وظهورها منصهرة بوجدان الشعراء

الغزل العلمي بين المشرق والأندلس:

اتخذت الأندلس من المشرق قِبلة ثقافيَّة في بادئ أمرها بحكم الصِّلات الدينيَّة والحضاريَّة، ولكنَّها سُرعان ما شَبَّتْ عن الطَّوق وناوأت المشرق، وبحثت عن الاستقلال الثَّقافيّ، يدفعها إلى ذلك الاختلاف السِّياسي والاجتماعي والجنس البشري، وجرت الدراسات الحديثة دومًا على تلمُّس الفروق بين القُطرين، في محاولة لرصد ما تميزت به الأندلس عن المشرق أو ما أضافه الأندلسيون للشِّعر العربيّ؛ وهي النقطة التي سأنطلق منها لأجيب عن سؤالين مُهمين يُخصَّان هذا الفنّ: أين نشأ الشِّعر العِلمي الغزلي؟ وماذا أضاف الأندلسيون له؟

رصدنا في دراسات سابقة أن الشِّعر التَّعليمي نشأ واكتمل بالمشرق، وأن الأندلس أسهمت في رفده بنماذج متنوعة في شتى مجالات المعرفة، بيد أن دورها الأعظم كان في ازدهار منظومات النحو أو ما يمكن أن يُسمى بالنَّحو الشِّعري من خلال ابن معطي وابن مالك، فهل بقي الأمر على هذا الحال في التحوُّل بالشِّعر التَّعليمي نحو الاتجاه الغزلي؟

وقفتُ على إشارة للمَقَّرِيّ(ت١٠٤١هـ) يُشير فيها إلى ريادة الأندلس لهذا الفن من خلال زعمه بانفراد ابن أرفع رأس بخوض هذا الطريق في نظمه للكيمياء، ونقلها من العلم إلى الفن فقال: "ولو لم يكن للأندلسيين غير كتاب (شُذور الذهب) لكفاهم...حتى قيل فيه: إن لم يُعلِّمك صناعة الذهب عَلَّمك الأدب، وفي عبارة بعضهم: إن فاتك ذهبه لم يفتك أدبه، وقيل فيه: إنه شاعر الحكماء، وحكيم الشعراء"[١]

(١) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب- المَقَّرِي التلمساني-٦٠٦/٣-تح: إحسان عباس- ط١ دار صادر بيروت١٩٩٧م.

وقد ذهب الأستاذ عبد الله كَنُّون قريبًا من هذا الرأي على نحو أوسع؛ فبعد أن أورد ثلاثة نماذج لأندلسيين تنضوي على الغزل العلمي في الحديث والعروض واللغة عقَّب قائلًا: "ويظهر أنَّ هذا النَّوع من النظم قد انفرد به الأندلسيون أو كانوا هم الذين نهجوا سبيله لغيرهم فإنَّا لا نعلم لمشرقيٍّ نظمًا على منواله إلا ما كان للعلامة الصَّبَّان الذي عارض قصيدة (غرامي صحيح) بأخرى على مثالها"[١]

ورأي الأستاذ عبد الله كَنُّون صحيح صالح في ضوء ما اطلع عليه من المصادر آنئذ أو من خلال النظرة الجزئية لهذا الفن من خلال منظومات الحديث النبوي، فابن فرحون أول من استخدمها على هذا النحو الكبير الواسع في مصطلحات الحديث، لكنَّ الأمر مختلف في إطار النظرة الكلية الشاملة، وهي موضع الاعتبار في التنظير والتقعيد؛ فنشأة الغزل العلمي مشرقيَّة خالصة على يد محمد بن أُمَيل التَّميميَّ وعبد العزيز بن تمَّام، الأول منهما عاش في القرن الثاني الهجري والثاني في القرن الرابع، أي قبل النماذج التي أوردها الأستاذ عبد الله كَنُّون بنحو ثلاثة قرون تقريبًا، ومع ذلك يبقى للأندلس رسوخ القدم في هذا النهج، فتجارب شعرائها أظهر خبرًا وأبعد أثرًا، فهي شارة ومنارة –وخصوصًا منظومة ابن فرحون– في مصطلح الحديث.

معوقات العلوم للبُعد الغزليّ للتَّجرِبة:

يجري الحديث هنا عن دور العلوم في نجاح التَّجرِبة وعمقها، ومدى مطاوعتها للشَّاعر وانصهارها في الموضوع، أو جمودها واستعصائها على الغنائيَّة، وما يترتَّب على ذلك من صُعود القصيدة باتجاه الغزل الخالص أو هبوطها باتجاه العلم الخالص، وهل هذه القضية تختلف من علم لآخر؟ بحيث يمكن أن تبدو المطاوعة التامة والانصهار الكامل في بوتقة الغزل مُمكنة في بعض العلوم دون بعضها الآخر؟

تبدو مطاوعة المصطلحات العلميَّة في المنظومات اللغويَّة للتجرِبة الغزليَّة على نحو سهل من غير مشقة، ويرجع السر في ذلك إلى أن مصطلحات هذه العلوم وقضاياه مفردات لغوية(مصطلحات) لم تفقد شذاها الأدبي أو عطرها الإيحائي[٢]

فمثلًا في نظم مثلث قُطرب سنجد سلسلة من الكلمات اللغوية منها: (غمر–السلام–الكلام–الحرة–الحلم–السبت–السهام–دعوة...إلخ) وكونها مفردات مكَّن بسهولة من تحويلها من بابها إلى فنِّ الغزل بما بقي من

(١) ينظر: أدب الفقهاء–عبد الله كنون– ص٢٤٦–ط دار الكتاب اللبناني. بيروت. د.ت.

(٢) لو رصد النقد الأدبيُّ مفردات فنِّ الغزل على مرِّ العصور، وما كان منها من باب الحقيقة، وما هو شركة بينه وبين الأغراض الأخرى، لأمكن قياس حديثي عليه، ولساعد هذا في صناعة معجم تاريخيٍّ لمفردات الأغراض الشعريَّة.

إيحائها مرة، وبالسياق مرة أخرى، لتستقيم التجرِبة في باب الغزل؛ ومنه قوله:[١]

تَيَّمَ قَلْبِي بِالكَلَامْ وَفِي الحَشَا مِنْهُ كِلَامْ
فَسِرْتُ فِي أَرْضٍ كُلَامْ لِكَي أَنَالَ مَطْلَبِي

فلفظ(كلام) مثلث بمعنى (الحديث، والجرح، والوعر من الأرض) وهو ما يصلح في باب الغزل، وقد نجح الشاعر في تحويل معناه بواسطة السياق، وهو ما يُعزِّز دور السياق العام للقصيدة في نجاح التَّجرِبة.

أما في تجارب الحديث النبوي والبديعيات فكان غالب المصطلحات متطابقًا تمامًا مع مفردات فن الغزل؛ ومنها في سائر منظومات الحديث النبوي:(صحيح-مرسل-مسلسل-ضعيف-متروك-مدرج-مفترق-عزيز-غريب) وهي كلها مما يصلح للغزل، وتُعبِّر عنه تعبيرًا دقيقًا، في حين نجد علوم الصنعة(الكيمياء) تدخل إلى الغزل من باب الخيال الخالص، والتعبير الكنائيّ التأويليّ، وربما كان السرُّ وراء ذلك في التشابه بين البعد الخيالي في الفنِّ والحقيقيّ في الصَّنعة فكلاهما ضرب من الأماني الكاذبة والتهويم وراء الظاهر.

في حين نرى بعض العلوم تستعصي على الانصهار التَّام في باب الغزل، وتتأبى على الامتزاج به، وتعوق تدفق التجربة على نحو متكامل كعلم النحو، والسبب وراء ذلك أن المصطلحات في هذه العلوم ليست مفردات وإنما عبارات كبيرة، وأيضًا لأن منظوماتها جاءت تفصيلية متضمنة القاعدة والأمثلة بخلاف منظومات الحديث التي نصَّت على القاعدة دون أمثلة أو شرح، ومن هذا النوع منظومة الشيخ حسن العطار(ت١٢٥٠هـ)[٢] ومنها قوله:[٣]

وَلِلْمُبْتَدَا رَفْعٌ بِنَفْسِ تَقَدُّمِ
وَفِي خَبَرٍ رَفْعٌ لَهُ دَائِمًا يَجْرِي
كَقَولِكَ هَذَا أَغْيَدٌ قَدْ عَشِقْتُهُ
لَهُ مُقْلَةٌ تُعْزَى إِلَى بَابِلِ السِّحْرِ
وَتَنْصِبُهُ أَشْبَاهُ كَانَ كَلَمْ يَزَلْ
حَبِيبِي مُغْرَى بِالتَّبَاعُدِ وَالهَجْرِ

والقصيدة ليست متصلة الفكر بل قاعدة ومثال، وأمثلته مفرقة على غير ترتيب، فلو جُمِّعَتْ لن تُقدم موضوعًا غزليا مُرتَّبًا، ولكنه- أي الشاعر- كان يتفلَّتُ من الجمود بذكر المثال في بيت أو بيتين مما يرسم صورة أدبية كاملة وتيارًا شعوريًا جميلًا، ومع ما في التَّجرِبة من مُعوقات وتمزُّق فما بقي من شذا في أمثلته يُعرِب عن شاعريَّة حقَّة، وما أحسن قوله:[٤]

فَنَعْتٌ وَتَوْكِيدٌ وَعَطْفٌ كَذَا بَدَلْ
وَتَفْصِيلُهَا يَأْتِيكَ مُتَّضِحَ الذِّكْرِ

---

(١) المثلثات اللغوية-حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية جامعة قطر-ع٩/١٤٠.

(٢)حسن بن محمد بن محمود العطار، من علماء مصر، أديب شاعر، له شعر رائق ، أخذ عن علماء مصر، وتنقل بين القاهرة ودمشق وألبانيا، وأخيرًا استقر في مصر، فتولى إنشاء جريدة (الوقائع المصرية) في بدء صدورها، ثم مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦ هـ إلى أن توفي، أسهم في عدة علوم، ومن مؤلفاته: رسالة في (كيفية العمل بالأسطرلاب) وكتاب في الإنشاء والمراسلات، وديوان شعر، توفي في القاهرة ١٢٥٠ هـ. ينظر في ترجمته: الأعلام٢/٢٢٠.

(٣) مجموع مهمات المتون ص٤٩٣.

(٤) مجموع مهمات المتون ص٤٩٥.

كَقَولِكَ إِنْ تَعْشَقْ فَدُونَكَ أَهْيَفًا
مِنَ التُّرْكِ بَدْرًا كُلَّهُ صِيغَ مِنْ دُرِّ
لَهُ مُقْلَةٌ كَحْلَا وَخَدٌّ مُوَرَّدٌ
وَثَغْرٌ لَمَاهُ حَازَ لِلرَّاحِ وَالعِطْرِ

فلله دَرُّه!(بدرًا صيغ من دُرٍ) وألحق به من الجمال أصنافًا، ومن السحر ألطافا.

وقد لجأ الشيخ عثمان بن سند النجدي في (هداية الحيران في نظم عوامل الجرجاني) إلى حيلة لطيفة على طول المنظومة ليطوّع الموضوع للغزل، ويوجد تيارًا شعوريًا واحدًا؛ فكان يذكر القاعدة في أبيات مجملة، ثم يذكر الأمثلة في أبيات غزلية متوالية، ومن ذلك ذكره لحروف الجر في(٧) سبعة أبيات، وأعقبها بالأمثلة متصلة في (٢٤)أربعة وعشرين بيتًا، ومن لطيف المعنى في أمثلته قوله في أمثلة (عن):[١]

رُبَّ عَزِيزٍ زَارَنِي وَقَدْ عَلا
حُسْنًا عَلَى بَلْقِيسَ بلْ كُلِّ المَلَا
عَنْ قَوْسِ لَحْظَيْهِ رَمَانِي سَهْمَا
أَفْدِيْهِ مِنْ رَامٍ [رَمَى] فَأَصْمَى[٢]

فصوَّر المحبوب بابلي الحسن، ساحر اللحظ، أغن الصوت، وجعله قاتلًا مُفدَّى من المقتول، وهو معنى جيد، وفكرة شائعة في الشعر العربي.

ومن لطيف المعاني قوله:[٣]

مَهْمَا إِلَيهِ يَدْعُ خِلِّي أُجِبِ
وَلَوْ دَعَا للنَّارِ ذَاتِ اللَّهَبِ

ويقصد ملازمة حبيبه والاتفاق وتجنب الافتراق، وهو معنى جيد مع مخالفته للفكر الإسلامي لأنه قرنه بما نُهِي عنه، وأحسن منه قول ابن القائل:[٤]

فَلَو قُلْتِ طَأْ فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ
هَوًى مِنْكِ أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِنْ نَوَالِكِ
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا
هُدًى مِنْكِ لِي أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكِ

وأحسن منه أيضًا –على عِلاته– قول شوقي على لسان قيس:[٥]

وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُبَشِّرُنِي
بِالخُلْدِ مَا أَنَا دَاخِلٌ وَحْدِي
لَوْ أَنَّ لَيلَى فِي النَّعِيمِ مَعِي
أَوْ فِي الجَحِيمِ تَسَاوَيَا عِنْدِي

ومن لطيف الخيال قوله في أمثلة (الكاف)[٦]

تَالله لَا أَبْغِي سِوَاهُ فِي الهَوَى
وَلَوْ كَوَى قَلْبِي بِمَيْسَمِ الجَوَى

---

(١) مجلة جامعة الإمام ص٢٥١-٢٥٢.

(٢)ما بين معقوفين زيادة يصلُح بها الوزن ويتطلبها المعنى، وقد غفلتُ عن هذا الخلل وتنبَّه له الأستاذان الجليلان الدكتور محمد حسين حماد والدكتور إبراهيم صبري راشد، وأظنه سقط سهوًا من المحقق. و(أصمى) كتبها المحقق بالياء، والصواب ما أثبتُّه بالمتن.

(٣) مجلة الجامعة الإسلاميةعدد١٧/٢٦٣.

(٤) فحولة الشعراء للأصمعي–ص٧٨–تح: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني–ط١ ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.

(٥) مجنون ليلى– أحمد شوقي –ص١٢٦–مطبعة مصر١٩١٦م.

(٦)مجلة الجامعة الإسلامية عدد١٧/٢٥٢.

يَا خَالَهُ فِي خَدِّهِ تَسَعَّرْ
إِذْ كُنْتَ كَالْعَنْبَرِ وَسْطَ مِجْمَرْ

المبالغة في البيت الأول حلوة حسنة، وقربها(بلو)، والصورة في البيت الثاني ذات جذور ممتدة، مرَّت بأطوار بدوية وحضرية، فمن (طيب عَرف العود) عند أبي تمام إلى(المندل الرطب والجمر) عند ابن خفاجة، وهي مع دورانها في الشِّعر جميلة طريفة.

ومن لطيف الخيال قوله:[1]

وَأَصْبَحَ الطَّلُّ يُرَى فِي الزَّهْرِ
دَمْعَ لُجَينٍ فِي أَسِيلٍ أَحْمَرِ[2]
وَظَلَّتِ الوُرْقُ بِفَرْعِ الضَّالِ[3]
سَوَاجِعًا فِي الصُّبْحِ وَالآصَالِ

فأشرك الطبيعة، وشخصها وأبكاها، وما أحلى قوله: (دمع لجين في أسيل أحمر)

والشاعر بهذه الحيلة تحرَّر من جفاف العلوم وجمود التجربة. وإن كان التحرُّر محدودًا في المنظومات النحوية فقد اكتملت ملامحه في منظومات الصنعة؛ فقد لجأ شعراء علوم الصنعة إلى الخيال الخالص بحيث إن التجربة وإن كانت تقدم بعدًا علميًا فهي تُعبِّر عن وجدان الشاعر وأحاسيسه من طريق الخيال والتصوير، على نحو ما نرى في رائعة عبد العزيز بن تمَّام الشَّهير بابن أبي الأصبع (من علماء القرن الرابع) في الكيمياء، ومطلعها:[4]

وَذَاتُ دَلٍّ لَهَا أَلْحَاظُ غُزْلَانِ
وَرِيحُ مِسْكٍ وَجِيدُ الأَغْيَدِ الدَّانِي
تَخْتَالُ زَهْوًا لَهَا تَاجٌ مُرَصَّعَةٌ
دُرًّا يُضَاهَي بِيَاقُوتٍ وَعِقْيَانِ
كَأَنَّ وَرْدًا وَتُفَّاحًا بِوَجْنَتِهَا
يُضَاحِكَانِ بِهَا مَفْتُونَ رُمَّانِ
تِلْكَ الفَتَاةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا فَرِحَتْ
نَفْسُ الغَنِّي وَنَفْسُ المُعْسِرِ العَانِي
يُضْحِي الحَكِيمُ بِهَا إِنْ كَانَ يَجْهَلُهَا
كَمَيِّتٍ قَامَ مِنْ تُرْبٍ وَأَكْفَانِ
فَتِلْكَ كَبْرِيتَةٌ حَمْرَاءُ عِنْدَهُمُ
وَصِبْغَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي

فتحدث عن الكيمياء وطريقة التحويل وآلاته وكأنها امرأة فاتنة، جميلة اللحظ، طيبة النشر، تختال زهوًا من شدة الحسن، يهيم بحبها الجميع...إلخ، ومنه قول ابن أرفع رأس(ت٥٩٣هـ تقريبًا) في الكيمياء:[5]

يَهِيمُ الفَتَى الشَّرْقِيُّ مِنْهَا بِغَادَةٍ
تَشُوقُ إِلَى شَرْقٍ وَتَرْغَبُ عَنْ غَرْبِ
هِيَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنَّهَا قَمَرِيَّةٌ
هِيَ البَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ كَامِنُ الشُّهْبِ
إِذَا الفَلَكُ النَّارِيُّ أَطْلَعَ شُهْبَهَا
عَلَى الذَّرَةِ العُلْيَا مِنَ الغُصُنِ الرُّطْبِ
تَرَاءَتْ عَرُوسًا بَرْزَةَ الوَجْهِ تَبْتَغِي
زِفَافًا وَكَانَتْ خَلْفَ أَلْفٍ مِنَ الحُجْبِ

---

(1) مجلة الجامعة الإسلامية عدد١٧/٢٧١.

(2) أسيل: الخد اللين. اللسان(أ س ل).

(3) الضال: جمع مفرده ضالة وهي السدرة البرية اللسان مادة(ض.ي.ل)

(4) مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٢ش لوحة ١١٣.

(5) الوافي بالوفيات١٦٤/٢٢.

ازدواج موضوع الغزل العلمي من منظور نقدي:

قد يظن البعض أن ازدواج الموضوع في قصيدة الغزل العلمي- كونها تحمل موضوعًا شعريًّا وآخر علميًّا- أحد معوقات تدفق المعنى الشِّعريّ، وحجر عثرة في طريقها إلى القلب؛ وهذا الكلام محل نظر؛ فازدواج المعاني ضرب من المخاتلة الفنيَّة اللطيفة، احتفت به البلاغة العربيَّة على مستوى الجملة أو ما يمكن أن يُسمَّى بالوحدات الصغرى في النَّص الأدبيّ كما في الجناس والمُشاكلة والإيهام والتوجيه، والتورية والتعمية، والأضداد والكناية والتعريض...إلخ،

والقرآن الكريم حافل بهذا النوع، وقد يتجاوز الازدواج في النَّص الأدبي الوحدات الصغرى إلى البنية العامة، فيحتمل شيئًا من التداخل أو أكثر من صوتٍ أو بعدٍ ثقافيٍّ كما في الإشارة والتضمين والتناص... ولم يعترض النقد على شيء من ذلك إلا فيما أحدث لبسًا في الفهم كالمُشكِل من المديح والهجاء كما في قول الشاعر:[١]

تَجَنَّبْكَ الجُيوشُ أَبَا خُبَيبٍ

وَجَادَ عَلَى مَنَازِلِكَ السَّحَابُ

ومن ثمَّ يمكن حمل ازدواج الموضوع في الشعر العلمي الغزلي على وجه نقدي صحيح مقبول، بيد أن الازدواج هنا في النص الشِّعري كله، فهي أعم وأشمل من النظرة البلاغيَّة الجزئية، وهي في الغزل العِلمي قريبة من الشِّعر الرمزي والسياسي مع اختلاف الدواعي؛ فالازدواج في الشِّعر الرمزي والسياسي دواعيه ترجع لأسباب تتعلق بالموضوع كما في القصيدة الهِرّية لابن العلَّاف(يا هِرُّ فارقتنا ولم تعُد) يقال أنه قالها في رثاء ابن الفرات أو ابن المعتز وحذر من المجاهرة بالموضوع خوفًا من الخليفة[٢]أما في الشِّعر العِلمي فالدواعي فنيَّة خالصة؛ وهي التَّعبير عن العلم من طريق الغرض الشِّعريّ الذائع عند العرب (الغزل)لمكانته في النفوس، وسلطانه على القلوب، وهذه الحيلة الفنيَّة كانت الوسيلة النَّاجعة لتسويغ الممنوع، وتجميل القبيح، وتحويل النَّص العِلميّ الجاف إلى نص شعريٍّ خصيب.

الازدواج والصنعة:

يبقى الحديث عن الازدواج من جهة الصنعة، ومن المعلوم أن الصنعة المذمومة مفسدة للمعنى، وحجاب بين القصيدة والمتلقي، فالشعر مطبوع ومصنوع كالسماء والأرض إلا إذا كان المصنوع في غاية الحسن، لم تؤثِّر فيه الكلفة، ولا ظهر عليه التَّعمل[٣] وقد كان ازدواج الموضوع كافيًا للدكتور محمود سالم لرفض هذه الأشعار من طريق الصنعة؛ فذكر النَّظم العلمي الذي لا يحتوي على أي ملامح شعريَّة غنائيَّة، وعدَّ منه منظومات علم الحديث، ومثَّل

(١) ينظر: العمدة لابن رشيق -١٨٧/٢-تح: محمد محيي الدين عبد الحميد-ط٥-دار الجيل. بيروت١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان١٠٨/٢.

(٣)ينظر: العمدة لابن رشيق١٣٠/١.

بمنظومة (غرامي صحيح) لابن فرحون الإشبيلي، وذكر منها أبياتًا ثم قال: "ويظهر التَّكلف في تضمين ألقاب الحديث والتوجيه بها...ولكن هذا الجمع لم يسلم له؛ لأنه رهنَ المعاني والمشاعر والتعبير الشِّعري لمصطلحات علم الحديث، فظلَّ صنيعه ضمن المنظومات على الرغم من محاولته الإيهام بأنه ينظم شعرًا"(١)

وأقول: لا يخفى أن قصيدة ابن فرحون- مَحلِّ الحديث- معدودةٌ في حسناته، لاستقلال قريحته، ورهافة شعوره؛ فاحتفى بها، ونوَّه بفضلها كل من ترجم له؛ ومن ذلك ما ذكره ابن معصوم في (أنوار الربيع) بعد عرضه القصيدة كاملة قال: "وهذه القصيدة دالة على تمكن ناظمها ورسوخ قدمه في الفضل والأدب"(٢)

والقول إن موضوعها الرئيس الغزل أو العلم مسألة لم يُسَلَّم فيها برأي، لاسيما وأن الشاعر ضمن آخرها لغزًا يشير فيه إلى حبيبه، وهو ما يعني أنها وليدةُ معاناة نفسيَّة حتى لو جاءت مرهونة بعلم الحديث، وأن الإيهام بها لا يغض من فضلها، ولا يخفى أن الاختلاف في موضوعها راجع في جزء منه إلى جودتها وعلوها. وأما الحكم على الصنعة عمومًا بالذم- وهذا موضوع يطول فيه الحديث- فمتوقف على إكراه النفس على القول، ونفور المتلقي من النظم؛ وقصيدة ابن فرحون سَلِمَتْ من استكراه الألفاظ وتنافر الكلمات وإعاقة الفكر ومن الضرورات؛ وقبولُ النقد لها خير دليل على حسنها، أضف إلى هذا أن استخدام مصطلحات الحديث في الغزل سائغ معروف وقد أكثر الشعراء منه لاسيما في المديح النبوي ومنه قول ابن حجر العسقلاني:(٣)

كَيفَ السَبيلُ لِكَتْمِ أَسْرارِ الهَوَى
وَلِسَانُ دَمْعِي بِالغَرَامِ يُتَرْجِمُ
وَحَدِيثُ وَجْدِيَ فِي هَواكَ مُسَلسَلٌ
بِالأَوْلِيَّةِ مِنْ دُمُوعٍ تَسْجَمُ

لذا كان النقد بارعًا في اعتداده بطبع الشاعر وثقافته وعصره، وشاعرنا فقيه مُحدِّث، ومن الطبيعي أن تُحلِّق شاعريته في واحة علمه، وأن يكون علمه(الحديث) مهدًا لتجاربه، مع قدرته على تطويع مفرداته في شعره من غير استكراه أو إعنات وهو ما كان، وإن بدت بعض ملامح الصنعة في تصاريف القصيدة فهي صنعة مُحكَمة واعية، غير مفسدة للمعنى الشعري، بيد أنَّ في أبياته موالاةً وكثرةً يرفضها النقد، وتستحيل على الطبع، لكنها-حقًّا-صنعة مرهونة بظروف مفروضة عليه، وأن هذا الطريق لا محيد عنه ليدخل بموضوعه في باب الشعر الغنائي، فهل يكفي هذا عذرًا؟

وقد بدا هذا النمط من الصنعة عند الفقيه عبد الوهَّاب بن نصر المالكي(ت٧٧١هـ) على

(١) أوضار الشعر العربي القديم منظومات تعليمية – مجلة التراث العربي المجلد٣١-عدد١٢٨/ ٣٢ -ط اتحاد الكتاب العرب بدمشق٢٠١٣م.

(٢) أنوار الربيع٢/٢٦٢.

(٣) ديوان ابن حجر العسقلاني ص٣،ومنه قوله: تسلسلت الرواية عن جفوني. ص٢٤، وقوله: يرويه عن عمر المنصور متصلا.ص٤٦.

نحو جيد؛ يتغزل ويورّي بمسائل الفقه في جو حواري بالغ الروعة يقول:[١]

وَنَائِمَةٍ قَبَّلْتُهَا فَتَنَبَّهَتْ
وَقَالَتْ تَعَالَوْا واطْلُبُوا اللِّصَّ بالحَدِّ
فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي – فَدَيْتُكِ–غَاصِبٌ
وَمَا حَكَمُوا فِي غَاصِبٍ بِسِوَى الرَّدِ
خُذِيْهَا وَكُفِّي عَنْ أَثِيمٍ ظُلَامَةً
فَإِنْ أَنْتِ لَمْ تَرْضَيْ فَأَلْفًا عَلَى العَدِّ
فَقَالَتْ قِصَاصٌ يَشْهَدُ العَقْلُ أَنَّهُ
عَلَى كَبِدِ الجَانِي أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ
فَبَاتَتَ يَمِيْنِي وَهِيَ هِمْيَانُ خَصْرِهَا
وَبَاتَتْ يَسَارِي وَهِيَ وَاسِطَةُ العِقْدِ
فَقَالَتْ أَلَمْ أُخْبَرْ بِأَنَّكَ زَاهِدٌ
فَقُلْتُ لَهَا مَا زِلْتُ أَزْهَدُ فِي الزُّهْدِ

فللّه دَرُّه من فقيهٍ ساحر! عَبَّر عن مكنون قلبه، وزاوج بين الفقه والشِّعر، وآخي بين الفقهاء والشعراء.

التجربة والبُعد العاطفي:

هناك بعض القضايا الشائكة المُتعلقة بالبُعد العاطفي للغزل العلمي؛ لأن كثيرًا من هذه التجارب لها ظاهر وباطن، فإلى أيهما توجهت عاطفة الشاعر؟ وهل هي تعكس معاناة حقيقيَّة وإحساسًا صادقًا مع التشتت بين الموضوعات الأصلية والمستعارة؟

أولًا: هذا الشعر عامر بالألفاظ الحزينة التي تدل على شدة الصبابة، وعمق الكآبة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق، وسأكتفي بعرض مثالين فقط؛ ففي منظومة أبي العرفان محمد بن علي الصبان تنتشر كلمات غزلية مثل:(ضعفا–غريبا– صب– الضنا– وجد ناره–دمعي–أمت–شغفا–الأحباب–حب) وتسيطر على ساحة القصيدة، وهي كلمات حزينة باكية تشف عن الألم والمعاناة؛ ففي قوله:[٢]

أَنَا المُحِبُ وَلَوْ أُدْرِجْتُ فِي كَفَنٍ
أَنَا الَّذِي لَمْ يَزَلْ بِالْعِشْقِ مُتَّصِفَا
اتْرُكْ سَبِيلِي وَدَعْنِي يَا عَذُولُ أَمُتْ
فِي حُبِّ مَنْ يُسْنِدُ المِسْكِينَ وَالضُّعَفَا

تبدو قوة العاطفة وحرارتها في بروز الشاعر من خلال ضمير المتكلم(أنا) الذي ينطوي على المجاهرة في إصرار كاشف عن الحُب وشدَّة التَّعلق، وتقلبه بين درجاته(المحب–العشق) والمبالغة في لزوم الحب(ولو أدرجت في كفن)، وكيف تأتى له أن يذكر الموت من غير أن تنفر منه النفوس(دعني...أمت) مع تلطُّف وحسن تخلُّص. وجاءت الألفاظ على النهج نفسه في منظومة آلات الطرب والألحان:[٣]

كَمْ بَاتَ يَرْصُدُ نَاظِرِي
بَدْرٌ كَغُصْنٍ نَاضِرِ
يَسْبِي بِجِيدٍ أَتْلَعِي[٤]
حَالٍ وَطَرْفٍ سَاحِرِ
مَاهُورُ[٥]دَمْعِي حِينَ سَالْ
يَجْرِي بِخَدِّي كَالآلْ

---

(١) وفيات الأعيان٣/٢٢٠،أنوار الربيع٢/٢٦٤.

(٢) مجموع مهمات المتون ص١٢٣.

(٣) مخطوط دار الكتب المصرية– ميكروفيلم رقم٥٠٩لوحات رقم١٢١–١٢٢.

(٤) أتلعي: طويل. اللسان(ت ل ع).

(٥) ماهور: مقام موسيقي فارسي من الطبقة الثانية من فصيلة الجهاركاه. ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار–ابن فضل الله العمري–١٠/٦٦٦–ط١– المجمع الثقافي. أبو ظبي١٤٢٢هـ.

مِنْ أَجْلِ مَنْ حَازَ الكَمَالْ
بُالبُعْدِ أَشْعَلَ خَاطِرِي

فترقَّى في المعاني من مراقبة الجمال إلى الهُيام بالكمال ثم البكاء واشتعال الوجدان، وقدَّم من خلال(بدر–غصن ناضر–جيد حال–طرف ساحر)مبررات قوية لانطلاق العاطفة وصحتها، والكلمات المنتشرة في المقطوعة(يسبي–دمعي–سال–خدي–أشعل) تدل على قوة العاطفة وصدق الشعور؛ (فكم)خبرية كاشفة عن طول مراقبته ودوام حاله، و(يسبي) تدل على الخضوع والاستسلام، و(دمعي) تدل على حزنه وألمه، و(سال) تدل على فيض دموعه، و(أشعل خاطري) تدل على جوى ضلوعه.

التجرِبة والبُعد الواقعي:

يبقى الحديث عن الغزل العلمي من زاوية البُعد الواقعي، وما من شك أن البعد الواقعي يمنح التجربة حيوية وإثارة وقوة؛ فليست النائحة المستأجرة كالثكلى، وقد فطن النقد لذلك، وتنبه له الشعراء فقال جرير على رقة غزله:(١) "ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيبًا تسمعه العجوز فتبكي على ما فات من شبابها" والحقيقة أن بعض هذه التجارب توفر لها بُعْدٌ واقعي حقيقي؛ فابن فرحون صرح في آخر منظومته باسم محبوبه إبراهيم، وصرح الصبان في آخر غزله أنه منصرف بحبه إلى النبي محمد ﷺ وهو ما يعني أنه توفر لهما إلى جوار الصدق الفني الصدق الواقعي، وربما كان لهذا أثره البالغ في انتشار تجربته وتجربة ابن فرحون. وإذ غاب الصدق الواقعي عن بعض التجارب الأخرى كمنظومات الكيمياء، فللصدق الفني حضوره، والنقد لم يعول على واقعية التجربة بقدر تعويله على قوة المخيلة والعاطفة، واعتبر صدق التجربة أن تكون مطابقة لوجدان الشاعر موضحة لمشاعره، ولا يلزم أن تكون ذات امتداد واقعي، فالمثالية والجمال أوضح في الفن من الواقع، وليس ببعيد عنا إشادة النقد بغزل جرير وليس من الشعراء العشاق.

التجربة والجو الشُّعوري المُتناقض:

يبقى الحديث عن الجو الشعوري المتناقض الذي تحمله هذه التجارب وخصوصًا في المنظومات الدينية كقصيدة ابن فرحون...إلخ فإذا افترضنا أن المتلقي المخدوع سيهيم وراء الظاهر ولن يتنبَّه لباطن التجرِبة، فماذا عن الجو النفسي المتناقض للشاعر، ونوع العاطفة المتضارب؛ ففي ظاهر هذه التجارب تسيطر عاطفة(الحب الدنيوي) بألوانها الناصعة، وفي باطن التجربة تسيطر عاطفة(الحب الأخروي)بألوانها الداكنة، والعاطفة وإن كانت واحدة في ظاهر التجربة وباطنها، فإن دواعيها ولونها مختلف تمام الاختلاف، وهو ما يترتب عليه اختلاف هائل في الحالة الشعورية المسيطرة على الشاعر، فالحديث عن الدين يحتاج شعورًا مفعمًا بالجلال والخشوع، والحديث عن الغزل يحتاج شعورًا مفعمًا بالبهجة والطرب والإقبال على الحياة، فهل من الممكن أن يتلاقيا كما يتلاقيان في الشعر الصوفي، ويكون امتطاء هذا اللون لمنح العاطفة أقصى درجات

(١)الأغاني–أبو الفرج الأصفهاني–٨/٤٧–تح: سمير جابر–ط٢–دار الفكر. بيروت.

البوح بما تعاني؟! على كل حال هذا التناقض سيقلُّ إلى حدٍّ ما في التجارب اللغوية وإن بقي الاختلاف مسيطرًا على جو التجربة، وستذوب هذه الفوارق في تجارب الكيمياء؛ لتوحُّد الموضوع ومن ثم توحُّد الشعور، ومع ذلك سيبقى الجو الشعوري المتناقض أحد إشكالات العاطفة في الغزل العلمي.

من المآخذ النَّقديَّة على الشعر العِلمي الغزلي:

رأيت أن أردف الحديث عن القضايا الفنية ببعض النظرات النقدية المتعلقة

من ذلك قول ابن سند النجدي في أمثلة حروف الجر:[١]

أَعْجَبَنِي ظَبْيٌ شَدَا فِي بَارِقِ
يَغْسِلُ أَيْدِيهِ إِلَى المَرَافِقِ

لا صلة بين شطري البيت؛ فالأول غزلي خالص، والثاني ديني خالص، مبني على الاقتباس من القرآن، ولا أجد للشاعر مسوغًا في ذلك، وليس هذا كقول علي بن عنتر الرشيدي:[٢]

بَسَطْتُ فِي شَادِنٍ حُلْوِ اللَّمَا غَزَلِي
وَقُلْتُ جُدْ لِي بِوَصْلٍ مِنْكَ يَا أَمَلِي
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
فَقَالَ لِي خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

فالشاعر نظم بحور الشعر بالاقتباس كما في هذا الشاهد، ولكنه ناسب بين الاقتباس والمعنى السابق، والمعنى المقتبس مما يصلح للغزل؛ فتعجل الوصل من صفات المحب، بخلاف قول ابن سند.

ومن ذلك قول ابن قيم الجوزية في وصف الحور العين:[٣]

وَالبَرْقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ ثَغْرُهَا
فَيُضِيءُ سَقْفَ القَصْرِ بِالجُدْرَانِ

الملمح الذي قصده مشهور معروف وهو حسن الثغر والابتسام وبياض الأسنان بيد أن(البرق) تصلح للحرب والفزع، ولو قال(والنَوْر) لكان أجمل وأرق وأدق، ومنه قول طرفة بن العبد(ت٦٠ق.هـ):[٤]

وَتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّرًا
تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ نَدِ

ومنه قول أبي العرفان الصبان:[٥]

صِلُوا صَحِيحَ غَرَامٍ صَبْرُهُ ضَعُفَا
وَبَدِّلُوا قَطْعَ مَنْ فِي حُسْنِكُمْ شُغِفَا

لو قال (نفدا) مكان (ضعفا) لكان أحسن لمرغوبه، وأعطف لقلب محبوبه.

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية عدد١٧/٢٤٩.

(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢/٩٧.

(٣)روضة المحبين ص٢٥٥.

(٤)شرح المعلقات السبع للزوزني ص٤٩.

(٥)مجموع مهمات المتون ص١٢٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه...وبعد؛

فأرجو بعد هذا العرض للشِّعر العلميّ الغزليّ بالتَّحليل والنَّقد أن أكون قد نجحتُ في تسليط الضوء على الشِّعر التَّعليميّ من زاوية جديدة تكشف عن مدى صلته بعالم الشِّعر وجوهر الفن، وتلك أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١- استطاع الشعر العلمي أن ينقل العلوم من دائرة العلم إلى دائرة الفن، وأن ينتقل من محاولة نشرها وتعليمها إلى محاولة التغني بها.

٢- نجح الشعر العلمي في التعبير عن قضاياه من خلال فن الغزل، ووسَّع في دائرة التلقي، فجمع بين المنتمي للعلم والفنِّ في باب الفنِّ الخالص.

٣- كان هذا الشعر(الغزل العلمي)صدى للمكونات الحضارية والمستجدات الثقافية والعلمية في الحضارة الإسلامية، فجمع بينها وبين القيم الاجتماعية والفنية في البيئة العربية(المرأة والغزل).

٤- بدتْ مقدرة الشعر العربي على مواجهة كافة التطورات الفكرية للعرب، وظهرت براعته في استيعاب جُلِّ العلوم في باب الشِّعر الغزلي.

٥- كان للعلماء الشعراء دور بارز في حياة هذا الشعر، وإسهام كبير في التعبير عن الحضارة الإسلامية لا يقل في أهميته عن دور كبار الشعراء المخلَصين.

٦- أتصور أنه قد آن الأوان للحديث عن صورة جديدة مثاليَّة للشِّعر التعليمي، ومطالبة الشعراء بشعر تعليميٍّ غنائي.

٧- ما زلتُ آمل أن تولي الحركة النقديَّة وجهها للشعر التعليمي، وأن تقف معه وقفة صادقة تتناوله فيها بالدراسة والتحليل بعيدًا عن النقد النظري والأحكام المسبقة.

فهرس المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين- أبو حامد الغزالي- دار المعرفة - بيروت د.ت.
- أدب الفقهاء-عبد الله كَنُّون-ط دار الكتاب اللبناني. بيروت. د.ت.
- أسماء المنازل المصرية وضبطها بالدرج، مخطوط دار الكتب المصرية- مجاميع ٧٣٩رسالة٢ ميكروفيلم٥١٣٤.
- الأعلام - خير الدين الزركلي-ط١٥-دار العلم للملايين٢٠٠٢م.
- أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي-تح: علي أبو زيد وآخرين-ط١-دار الفكر ١٤١٨هـ-١٩٨٨م. بيروت.لبنان.
- الأغاني-أبو الفرج الأصفهاني-تح: سمير جابر-ط٢-دار الفكر. بيروت.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة- جمال الدين القفطي- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم-ط١-دار الفكر العربي القاهرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٢م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع- ابن معصوم المدني- تح: شاكر هادي شاكر-ط١ مطبعة النعمان. العراق د.ت.
- الأوراق قسم أخبار الشعراء للصولي- تح:ج.هيورث.د. ن- ط الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- أوضار الشعر العربي القديم منظومات تعليمية-مجلة التراث العربي- المجلد٣١-عدد١٢٨-ط اتحاد الكتاب العربي بدمشق٢٠١٣م.
- تاريخ بغداد-الخطيب البغدادي- تح: بشار عواد -ط١- دار الغرب الإسلامي. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م بيروت.
- تخليص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة الطهطاوي -ط دار الكتب المصرية١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- تذكرة الحفاظ للذهبي-ط١-دار الكتب العلمية بيروت١٤١٩هـ-١٩٨٩م.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم- أبي بكر محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي- تح: محمد نعيم العرقسوسي-ط١- مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٣م.
- جوهرة الدسوقي- إبراهيم الدسوقي-ط دار الحسين الإسلامية د.ت.
- حِرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع-القاسم بن فِيرُّه الشاطبيّ-ضبط وتصحيح: وليد بن رجب بن عبد الرشيد بن عجمي- ط١-مكتبة أولاد الشيخ للتراث ٢٠٠٩م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة- السيوطي-تح: محمد أبو الفضل إبراهيم-ط١- دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- حياة الحيوان الكبرى للدميري- ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- ابن حجر العسقلاني- تح: محمد عبد المعيد خان-ط٢-مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد. الهند.
- ديوان ابن حجر العسقلاني-جمع وتعليق الدكتور السيد أبو الفضل-طبعة ١٣٨١هـ-١٩٦٢م حيدر أباد الدكن. الهند.ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي- تح محمد عبده عزام - ط٥ دار المعارف.
- ديوان أبي الطيب المتنبي- تح: عبد الوهاب عزام-ط لجنة التأليف والترجمة والنشر. د.ت.
- ديوان أبي فراس- تح: سامي الدهان-ط بيروت١٣٦٣هـ-١٩٩٤م.
- ديوان امرئ القيس - تح: محمد أبو الفضل إبراهيم-ط٥ دار المعارف.
- ديوان جميل-جمع وتحقيق وشرح: حسين نصار-ط دار مصر للطباعة.د.ت
- ديوان رفاعة الطهطاوي -جمعه طه وادي-ط٣ دار المعارف١٩٨٤م.
- ديوان الشافعي-تح: نعيم زرزور-ط٤- دار الكتب العلميَّة. بيروت١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ديوان مجنون ليلى- أحمد شوقي-مطبعة مصر١٩١٦م.
- ذيل مرآة الزمان-قطب الدين اليونيني-جـ٢-ط٢-دار الكتاب الإسلامي القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ذيل مرآة الزمان -قطب الدين اليونيني- تح: حمزة أحمد عباس-جـ١- ط١-هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث-المجمع الثقافي٢٠٠٧م.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم- ط دار النبلاء. بيروت. د.ت.
- سوسيولوجيا الغزل العربي(الشعر العذري نموذجًا)- الطاهر لبيب- ترجمة: محمد حافظ دياب-ط١-دار سينا للنشر ١٩٩٤م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- ابن العماد الحنبلي- تح: محمود الأرناؤوط-ط١- دار ابن كثير، دمشق - بيروت١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- شرحان على مثلثات قطرب - لويس شيخو - مجلة المشرق - ع ١٢ - سنة١٩٠٩م.
- شرح ديوان عنترة بن شداد للخطيب التبريزي-تقديم مجيد طراد-ط١- دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- شرح المعلقات السبع للزوزني- تح: طلال أحمد-ط١- دار الكتاب العربي٢٠٠٢م-١٤٢٣هـ.
- الشعر والشعراء-ابن قتيبة-تح: أحمد محمد شاكر-ط١-دار الحديث القاهرة١٤١٧هـ-١٩٩٦.
- شعرية الكيمياء(طائية ابن أرفع رأس أنموذجًا)-مصطفى محمد رزق السواحلي-مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ٥٧- الجزء الأول-جمادي الآخرة١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع-السخاوي-ط دار الجيل. بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى- تاج الدين السُّبكي-جـ٧- تح: عبد الفتاح محمد الحلو وآخرين-ط دار إحياء الكتب العربية.

- طبقات الشافعة الكبرى –تاج الدين السبكي–جـ٨– تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو–ط دار إحياء الكتب العربية.
- الطبقات الكبرى–عبد الوهاب الشعراني–ط١–دار الجيل. بيروت١٤٠٨–١٩٨٨م.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار– الجبرتي–تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم–ط دار الكتب والوثائق المصرية١٩٩٨م.
- العلماء العزاب –عبد الفتاح أبو غدة–ط٧–دار البشائر الإسلامية . بيروت ١٤٣٥هـ–٢٠١٤م.
- العمدة لابن رشيق –تح: محمد محيي الدين عبد الحميد–ط٥–دار الجيل. بيروت١٤٠١هـ–١٩٨١م.
- فهرس المخطوطات العربية بدار الكتب المصرية – تحرير: عبد الستار الحلوجي–ط مؤسسة الفرقان.لندن١٤٣٢هـ–٢٠١١م.
- قصيدة في آلات الطرب–مخطوط دار الكتب المصرية–ميكروفيلم رقم٥٠٩.
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية –ابن قيم الجوزية–تح: محمد بن عبد الرحمن العرِيفِي وآخرين–ط١–دار عالم الفوائد١٤٢٨هـ.
- المثلثات اللغوية –جلال شوقي –حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية جامعة قطر–ع٩–١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار–ابن فضل الله العمري–ط١– المجمع الثقافي. أبو ظبي١٤٢٢هـ.
- معجم الأدباء –ياقوت الحموي– تح: إحسان عباس–ط١–دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٤١٤هـ–١٩٩٣م.
- المعجم المختص بالمحدثين –شمس الدين الذهبي –تح: محمد الحبيب الهيلة–ط١–١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.
- معجم المؤلفين–عمر رضا كحالة– ط مكتبة المثنى. بيروت١٤٠٨هـ.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي– يوسف بن تغري بردي–تح: محمد محمد أمين–ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- مجموع مهمات المتون –ط٤– عيسى البابي الحلبي ١٣٦٩هـ–١٩٤٩م.
- المفضليات–المفضل الضبي–تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون–ط٦–دار المعارف. القاهرة.
- المقدمات الغزليَّة للمراثي الجاهليَّة مدوَّنات في بلاغة الصَّنعة–د. وليد إبراهيم حمودة–مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية–جامعة الأزهر–عدد٣١–المجلد الخامس.
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب– المَقَّرِي التلمساني–تح: إحسان عباس– ط١ دار صادر بيروت١٩٩٧م.
- نكت العميان–الصفدي– تعليق: مصطفى عبد القادر عطا–ط١– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

- هداية الحيران في كشف عوامل الجرجاني- بدر الدين عثمان بن سند النجدي-تح: عبد الله محمد آدم- مجلة جامعة الإمام-عدد١٧-رجب ١٤١٧هـ .
- فحولة الشعراء للأصمعي-تح: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني-ط١ ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
- فوات الوفيات-ابن شاكر الكُتبي-تح: إحسان عباس-ط١- دار صادر .بيروت١٩٧٣م.
- الوافي بالوفيات-صلاح الدين الصفدي- تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي-ط دار التراث العربي. بيروت.
- وفيات الأعيان لابن خَلِّكان- تح: إحسان عباس-ط دار صادر بيروت. د.ت.

فهرس المحتويات

المقدمة.....٦٥٧

التمهيد:

الغزل والعلم مقاربة نقدي.....٦٥٨

المبحث الأول:

الشعر العلمي الغزلي رؤية موضوعية.....٦٦٢

المبحث الثاني:

الشعر العلمي الغزلي وقضاياه الفنية.....٦٧٣

الخاتمة.....٦٨٦

فهرس المصادر والمراجع.....٦٨٧

فهرس الموضوعات.....٦٩٠